صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السابع

المجلة الجديدة

العدد الثالث
من
السنة السابعة

مارس ١٩٣٨

دعوة السلام

ليس شك فى أن جميع الشعوب تكره الحرب . والبرهان الواضح على ذلك انه لم تستطع أمة أن تدخل فى حرب كبرى معتمدة فقط على التطوع . وها هى ذى بريطانيا على الرغم من الاغراءات المالية العظيمة سواء بتأدية مرتبات ضخمة مدة الخدمة أم بتقديم معاش بعدها أو بعد الوفاة لأسرة الجندي لم تستطع أن تحارب المانيا الا بعد أن أعلنت الخدمة الاجبارية . وقد أثبت تاريخ الولايات المتحدة الامريكية أن رشوة الجنود لاتكفى للحرب . فقد كان لنكولن يمنح المتطوع لحرب التحرير مائة فدان ونحو مائة جنيه ومع ذلك لم يكن يجد كفايته من الجنود لمقاتلة حزب الجنوب . وليس هناك من يجهل أن الجندى يحتاج الى تمرين طويل لكى يجرؤ على قتل عدوه وقت الحرب . وكثيرا ما تقدم المشروبات الروحية القوية للجنود قبل الاصطدام حتى يذهب عنهم التعقل والروية وحتى يندفعوا فى حماسة وحشية الى القتل

فالناس يكرهون الحرب ولكنهم يساقون اليها بجنون السياسيين من ناحية وبدسائس الماليين الذين يجدون فى الحروب أكبر الفرص لزيادة ثرائهم . فان الحروب تستهلك مقداراً كبيرا جدا من المصنوعات والمحصولات كالقطن والبترول والفحم والذخائر . وهؤلاء الماليون يملكون الجرائد الكبرى التى تخدم أغراضهم ولا تفتأ تبعث الاحقاد بين الشعوب بغية الوصول الى حرب تزيد مكاسب أسيادها

وبدهى أننا عند التحليل للنظام الاقتصادى نصل فى النهاية الى أن هذا النظام يحتاج من وقت لآخر

OI
25
75
(7
19

The Aga Khan Fund
for Islamic Art and Architecture

Harvard College Library

OL25065.750

521700

صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السابع

المجلة الجديدة

العدد الثالث
من
السنة السابعة

مارس ١٩٣٨

دعوة السلام

ليس شك فى أن جميع الشعوب تكره الحرب . والبرهان الواضح على ذلك انه لم تستطع أمة أن تدخل فى حرب كبرى معتمدة فقط على التطوع . وها هى ذى بريطانيا على الرغم من الاغراءات المالية العظيمة سواء بتأدية مرتبات ضخمة مدة الخدمة أم بتقديم معاش بعدها أو بعد الوفاة لأسرة الجندي لم تستطع أن تحارب المانيا الا بعد أن أعلنت الخدمة الاجبارية . وقد أثبت تاريخ الولايات المتحدة الامريكية أن رشوة الجنود لاتكفى للحرب . فقد كان لنكولن يمنح المتطوع لحرب التحرير مائة فدان ونحو مائة جنيه ومع ذلك لم يكن يجد كفايته من الجنود لمقاتلة حزب الجنوب . وليس هناك من يجهل أن الجندى يحتاج الى تمرين طويل لكى يجرؤ على قتل عدوه وقت الحرب . وكثيرا ما تقدم المشروبات الروحية القوية للجنود قبل الاصطدام حتى يذهب عنهم التعقل والروية وحتى يندفعوا فى حماسة وحشية الى القتل

فالناس يكرهون الحرب ولكنهم يساقون اليها بجنون السياسيين من ناحية وبدسائس الماليين الذين يجدون فى الحروب أكبر الفرص لزيادة ثرائهم . فان الحروب تستهلك مقداراً كبيرا جدا من المصنوعات والمحصولات كالقطن والبترول والفحم والذخائر . وهؤلاء الماليون يملكون الجرائد الكبرى التى تخدم أغراضهم ولا تفتأ تبعث الاحقاد بين الشعوب بغية الوصول الى حرب تزيد مكاسب أسيادها

وبدهى أننا عند التحليل للنظام الاقتصادى نصل فى النهاية الى أن هذا النظام يحتاج من وقت لآخر

الى الحرب لانه يستتبع الاستعمار والاستئثار بالمواد الخامة واستغلال الامم المتأخرة . وكل هذا يجر فى أثره الحروب لان هناك دولا تعتقد أنها « مظلومة » فى هذا الاغتصاب العام أو هـذه السرقات العالمية

ومن الامانى التى يبعد تحقيقها سريعاً أن يتغير هـذا النظام المالى الذى يعيش بالمزاحمة بين الافراد أولا وبين الدول ثانياً . وليست الحروب سوى المثل الاعلى لهذه المزاحمة التى يمكن ترجمتها بعبارة « تنازع البقاء » وهو تنازع لا يعرف معنى للرحمة أو الاخاء أو التعاون

وعصبة الامم هى اختراع عجيب فى وسط هذا النظام . اذ هى تقوم على التعاون والاخاء وهو يقوم على المزاحمة والتنازع . ومن هنا ضعفها ونفور الامم التى تدعو الى التنازع منها . ولكنها على الرغم من كل مابها من ضعف لاتزال الاداة العالمية الوحيدة لصيانة السلم واذا كان القارىء يجد فى هذا القول تناقضاً ازاء حربين وحشيتين تمزقان الصين وأسبانيا فان الرد على ذلك أن الحمى التى تصيب العالم أكثر تفاقما من أن يبدو على الجسم منها بثرتان فقطمهما كانت شناعتهما . ولولا العصبة لتفشت هذه البثور فى أنحاء العالم كله

ولذلك يجب أن تكون عصبة الامم المعقل الاول لدعاة السلام . واذا استمر تأييدها فان ضعفها الحاضر سوف يستحيل الى قوة . وليس حجة عليها أن ايطاليا استطاعت أن تغزو الحبشة وهى لاتباليها . اذلو أن شروط العصبة أنفذت وقطع البترول عن ايطاليا كما قطع عنها سائر المواد لعجزت عن غزو الحبشة

وهذا يجرنا الى وسيلة أخرى لصيانة السلم هى البترول الذى أصبح الدم الحى لكل حرب قائمة أو منتظرة فان الطائرات والدبابات والبوارج والغواصات تستخدم هذا السائل ولا يمكنها أن تمارس الحرب بدونه . ولكن الشركات المالية التى تملكه تبيعه لمن يشاء من الدول سواء أكانت فى حرب أم سلم . ويمكن القارىء أن يتأمل هـذه الحرب الجائرة فى الشرق الاقصى حيث تكتسح الجيوش اليابانية أرض الصين . فان الولايات المتحدة التى تكره هذه الحرب وتطلب السلام فى الشرق الاقصى هى نفسها التى يبيع تجار البترول فيها هذه المادة للطائرات والغواصات اليابانية وأكبر الظن أن البترول الامريكى هو الذى استعمل فى الطائرة التى ضربت ودمرت البارجة باناى الامريكية

ولذلك ليس هناك مفر من رقابة البترول اذا أريد منع الحرب . أى يجب أن تخضع هـذه

التجارة لهيئة مؤلفة من الدول التى يستنبط البترول فى أقطارها وتتفق على منعه عن الدول المتحاربة. وجميع هذه الدول هى أعضاء فى عصبة الامم باستثناء الولايات المتحدة. ولكن هذه الدولة الاخيرة هى أكثر الدول رغبة فى منع الحروب ولذلك لاتنتظر منها المعارضة لمثل هذا الاتحاد

أما الشرط الثالث لصيانة السلم ومكافحة الحروب فهو اخراج صناعة الاسلحة والذخائر من أيدى الافراد والشركات وتسليمها للحكومات. فان المأرب المالى الذى يدفع التاجر إلى السعى وراء الزبون تتنزه عنه الحكومة مهما كانت مقاييسها الاخلاقية منحطة. وقد أخذ كثير من الحكومات بهذا الرأى وانتزعت حكومة المسيو ليون بلوم فى فرنسا هذه الصناعه من أيدى أصحابها وسلمت للحكومة

مدرسة للتخصص فى فن اللاسلكى

وضع مجلس ادارة محطة الاذاعه الالمانية تصميما لمدرسة للتخصص فى فن اللاسلكى وتنحصر مهمة هذه المدرسة فى اعداد الطلبة كى يقوموا باعمال المحطات اللاسلكية الغيرالفنية فمثلا يتعلم الطالب فى هذه المدرسة أن يكون ممثلا امام المذياع أو مديرا للفرق التمثيلية أو موسيقيا أو مخبرا للمحطات اللاسلكية الى آخر هذه المهن. وهذه الدراسات تدوم عدة شهور. اما ابنية هذه المدرسة فمجهزة بكل ماهو حديث فى عالم اللاسلكى فيوجد بها غرف للاذاعة وآلات راديو للاذاعة والاستقبال وآلات التلفزة وبالاختصار جميع ما يلزم لمحطات الاذاعة وفى جانب هذا فالمدرسة كاملة الاستعداد ويوجد بها مثل سائر معاهد التربية: مكتبات وغرف للأكل والنوم وملاعب للرياضة

المانيا بعد خمس سنوات

احتفل الألمان فى ٣٠ يناير الماضى بمرور خمس سنوات على نظام الاشتراكية الوطنية ولم تمض خمسة أيام على هذا الاحتفال حتى فاجأ الزعيم هتلر أوربا بل ألمانيا بتغيرات واسعة المدى فى الجيش والادارة اذ جعل نفسه القائد الأعلى للجيش ووثق الرباط بين الدولة وبين الحزب الاشتراكى الوطنى والمغزى من هذه التغييرات غير واضح فان روسيا ترى فيه زيادة الاستعداد لحرب قادمه تبدأها وايطاليا واليابان تجدان فيها توثيقا للمحالفة على مكافحة الشيوعية . والجميع ينتظرون خطب الزعيم القادمة حين يلقى ضوءا على هذه التغييرات

وللاشتراكية الوطنية وجهات مختلفة يمكن الخصم والصديق أن يبرزاها فيجد كل منهما هواه فان مما لا شك فيه أن الحرية نقصت فى ألمانيا ولكن الكفاءة زادت . فان الصحفى والخطيب والمعلم واستاذ الجامعة وغير هؤلاء من أفراد الصعب لا يجدون الحرية للتعبير عن آرائهم . ولكن ازاء ذلك زادت كفاءة الشعب فى الانتاج زيادة كبيرة

مثال ذلك أنه عندما تسلم هتلر زمام الدولة سنة ١٩٣٢ كان فى ألمانيا ستة ملايين عامل عاطل ومعنى هذا أنه هناك ستة ملايين سرة ألمانية تضيق بعيشها وتجد أن مسألة المسائل عندها ليست حرية الخطابة بل الحصول على البطاطس والخبز والجبن . وقد استطاع هتلر أن يخفض عدد العاطلين إلى بعر مليون . وهذه معجزة وقد كان مستوى الانتاج سنة ١٩٣٣ يبلغ ٦٣و٥ المعدل ١٠٠ سنة ١٩٢٨ فارتفع الى ١٢٦ فى اكتوبر سنة ١٩٣٧ . وكان مقدار الدخل الاهلى ٤٥ الف مليون مارك سنة ١٩٣٢ فزاد الى ٦٧ الف مليون مارك سنة ١٩٣٧

واتبع هتلر مع هذا النجاح خطة الاستقلال الاقتصادى فعبأ العلماء وجند الاختصاصيين لاستخراج

المواد والمصنوعات من التربة الالمانية حتى لا يحتاج الى شراء المصنوعات و المواد الخامة الاجنبية فالمانيا الآن اذا لم تكن قد استغنت تماما عن شراء مواد الصوف والقطن والبترول والكاوتشوك الاجنبية فانها تكاد تستغنى عنها بمكتشفاتها الكيماوية أو هى فى سبيل الاستغناء عنها . ولا نكران فى أن الالمان قد بذلوا جهود الجبابرة فى الاستعاضة عن منتجات الطبيعة بمنتجات العلوم . كما أنه قد يكون لهم مآرب خفى فى كل هذه الجهود وهو كفاية ألمانيا بمحصولاتها الداخلية اذا شبت الحرب وضرب عليها الحصار ومنعت عنها المواد الاجنبية . ولكن من يستطيع أن يلوم ألمانيا حتى على هذا المأرب والعالم فى جنونه الحاضر لا يصغى الى دعوة السلام ؟

كما انه لا شك أيضا فى أن العالم سوف ينتفع بهذه المكتشفات والمخترعات الالمانية . وخير للناس أن يلبسوا الملابس المطبوخة من الخشب وأن يأكلوا السكر المستخرج منه وأن يستعملوا الكوتشوك الكيماوى من أن يزرعوا ويكدوا فى الزراعة حرثا وسقيا وجنيا . فان الزراعة مضنية والفلاح يبذل مجهود عشرة رجال يعملون فى الصناعة الراقية التى تدور آلاتها بضغط زر كهربائى ويقوم الحديد والنار فيها مقام المجهود العضلى

هذا من ناحية النجاح المادى للاشتراكية الوطنية . وهو نجاح كما قلنا لا يستطاع نكرانه . أما الوجهة المعنوية لهذه الاشتراكية فيختلف فيها الرأى — فانك اذا كنت استفراديا تقول بالسعى الحر وكراهة التدخل الحكومى فلا شك فى أنك ستكره هـذا النظام الالمانى إذا أن الحكومة الالمانية تتدخل مباشرة أو مداورة بتمودها وسيطرتها معاً فى ٨٠ فى المائة من الانتاج الالمانى . بل الحق أن صاحب المصنع فى ألمانيا لا يستطيع لهذا التدخل أن يقول أنه يملك مصنعه

وأيضا اذا كنت استفراديا مؤمنا بقيمة الحرية نعنى حرية الفكر فى الادب والاخلاق والفلسفة والدين فأنت لاشك تكره هذا النظام الذى ينشد الكفاءة قبل الحرية أو هو يضحى بالثانية لتحقيق الاولى . فان هتلر يطلب المهندسين الذين يشقون طريقا يساوى المسافة التى تفصل بين الاسكندرية وبحر الغزال ولا يطلب خطيبا يهتف لكلماته آلاف المستمعين .وهو لا يبالى الغاء الجرائد التى مضى على انتشارها مائتان من السنين لانه يجد فيها رأيا مخالفا لرأيه

اما عن الدين فهتلر قد جعله خاضعا للدولة أو هو لا يزال فى سبيل الكفاح لاخضاعه . وقد

الزعيم هتلر

أذن لدعاته من أمثال روزنبورج أن يقولوا أقوالا عن المسيح والمسيحية يرتجف منها المسيحى السنى . وماذا يقول المؤمن فى مثل هذا الكلام التالى المنقول من بعض الكتب الدينية الالمانية الجديدة ؟

إن الديانة الألمانية « هى ديانة صحية وطبيعية وهى تجعل الالمانى شجاعا تقيا فى الكفاح من أجل شعبه ووطنه .. وهى خالية من أعراض المرض والانحطاط .. وليست المسيحية كذلك بل هى على النقيض ديانة مريضة غير طبيعية »

والكنيسة الالمانية هى الآن فى أحرج مواقفها التاريخية . ولكن الالمان هم الذين بعثوا الصوفية المجددة فى أوربا ولا يمكن أن يعتقد الانسان انهم سيقنعون بالنجاح المادى الذى حققوا معظمه . والقراء يعرفون أن من الثمرات المرة لهذا التجديد الدينى هذا الاضطهاد الذى يقع من وقت لآخر باليهود

* * *

وليس شك فى أن المبدأ القائل يوضع الكفاءة فوق الحرية يغضب الديمقراطيين على المانيا . ولكن الألمان لا يبالون هذا الغضب وهم يرون أنه خير للعامل أن يستمتع بالطعام الوافى والمسكن النظيف وضمان الصحة له ولعياله من أن يستمتع بحرية الخطابة . ويمكن الفيلسوف الذى يمتد نظره الى الخلف والى الامام بضعة آلاف من السنين أن يجد فى هذا المبدأ خطراً كبيراً على مستقبل

الانسانية . وهذا على فرض أن هذا المبدأ سيعيش هذه الالوف من السنين المنتظرة

أما اذا نظرنا الى الظروف الخاصة التى الجأت الوطنيين الاشتراكيين الى التصحية بالحرية لاجل زيادة الكفاءة الاقتصادية والحربية فاننا نستطيع أن نعتقد أن هذه الظروف عند زوالها ستهيء للالمان للرجوع الى أنظمتهم الديمقراطية السابقة

وقد بينا للقارىء مقدار النجاح الذى حققه الالمان فى سبيل الحصول عن طريق الكيمياء على مواد صناعية كانوا يشترونها بالنقد الغالى من الاقطار الاجنبية . فان ملايين السكان فى المانيا لم يعودوا يلبسون المنسوجات الصوفية أو القطنية التى كانت موادها الخامة تشترى من مصر واستراليا والولايات المتحدة وغيرهن . وانما معظم لباسهم يتألف هذه الايام من خشب غاباتهم الذى يقطع ويطبخ عجينة تعالج حتى تخرج اليافا للغزل والنسج . وهذا انتصار يدعو إلى الاعجاب إذ هو إنتصار العلم على الطبيعة أو الصناعة على الزراعة . وقد كثر الاستهلاك لخشب الغابات الالمانية لصنع أقمشة الريون حتى اضطرت الحكومة إلى تحديد صحائف الجرائد . وعلى الناس طبقا للمبدأ الالمانى أن يعنوا بالملابس أكثر مما يعنوا بقراءة الجرائد . ورأت المصانع أنها تستهلك مقداراً كبيراً من الحديد الاجنبي فكلفت الحكومة علماءها لاستخدام الالومينوم بدلا من الحديد فى كثير من الحاجات الصناعية فتم لها النجاح فى ذلك . ومادة الالومينيوم لاتفنى إذ هى كالهواء فى كل مكان من الارض ولكن الصعوبة تنحصر فى استخراجها

ومشروع السنوات الاربع الذى بدأته ألمانيا فى فبراير من سنة ١٩٣٧ يرمى إلى كفاية الالمان بمحصولات بلادهم . حتى إذ انتهت هذه السنوات استطاع الالمان أن يأكلوا ويلبسوا ويقيموا مصانعهم من غير حاجة إلى استيراد شيء من الاقطار الاجنبيه

ومثل هذه الخطط لايمكن تحقيقها الا بالتدخل الحكومى المستمر . فان الحكومة هى التى تقرر أجور العمال وأجور المنازل وأثمان البضائع والمحصولات بل هى تقرر أرباح الاسهم . فاذا ربحت احدى الشركات مبلغا ضخما أخذت المقدار الذى عينته الحكومة من الربح وسلمت الباقى لخزانة الدولة . بل الحكومة الالمانية قد عينت حداً أقصى للمرتبات فى الاعمال الحرة . فلا يجوز لشركة مهما بلغ دخلها السنوى من ملايين الجنيهات أن تعطى مديرها أكثر من ٧٠٠ جنيها فى العام أى مقدار

المرتب الذى يحصل عليه عندنا موظف فى الدرجة الثالثة!

وعناية الحكومة بالعمال لاتقف عند حد تعيين الاجور واجبار المصانع على الخضوع لقرارات الحكومة فيها فان هذه الحكومة تعنى أيضا بطعام السكان . وحسب القارىء أن يعرف من ضروب هذه العناية أن الغريب فى ألمانيا يمكنه أن يأكل طبقا من البطاطس بربع الثمن الذى يؤديه فى فنجان من الشاى . ويمكنه أن يأكل خمسة أطباق من الفاصوليا أو القرنبيط بثمن كأس واحدة من الوسكى وهـذا التنظيم للأثمان يراد به توفير الطعام للفقراء وضرب الاغنياء بضرائب لايحسون بها بل يمكن القارىء المصرى الذى يعيش فى القاهرة أو أى مدينة أخرى أن يعجب عند مايعرف أنه يأكل خبزه من القمح الخالص فى حين أن المانيا تشترى الذرة المصرية وتفرض على جميع المخابز

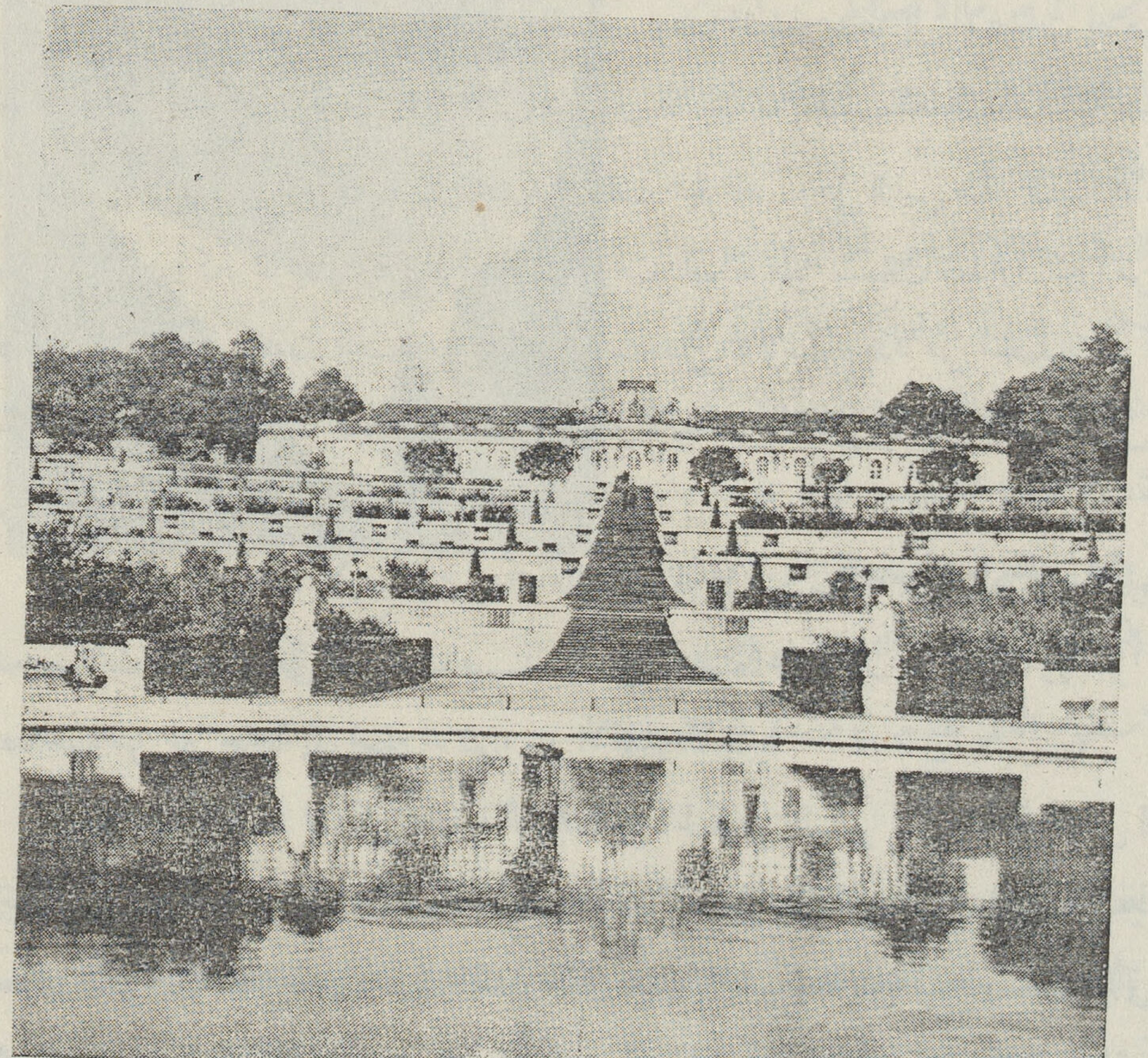

قصر بوتسدام — المانيا القديمة

أن يضيفوا إلى القمح ٧ فى المائة من الذرة

وماذا يقول القارىء لو اننا اقترحنا على الحكومة المصرية أن تهيء لنحو عشرة آلاف عامل مصرى من عمال الكنس والمطابع والترسانة والنجارين والحدادين نزهة فوق جبال الالب فى سويسرا لكى يتزلجوا على ثلوجه هذا الشتاء ؟ انه بالطبع يصفنا بالجنون الذى لا يرجى له شفاء . ولكن هذا بالضبط هو ما تقوم به المانيا لعمالها . بل تفعل أكثر من ذلك إذ هى قد حملتهم على بواخرها الى جزائر الخالدات فى غرب افريقيا لكى يتنزهوا وينالوا الصحة من الشمس الدافئة . وهذا الى مساكن تبنى لهم وتزود بالمجهزات الكهربائية . بل هذا الى جهود الحكومة فى اخراج أتومبيل لا يزيد ثمنه على خمسين جنيها يمكن العامل أن يقتنيه ويستطيع اداء ثمنه

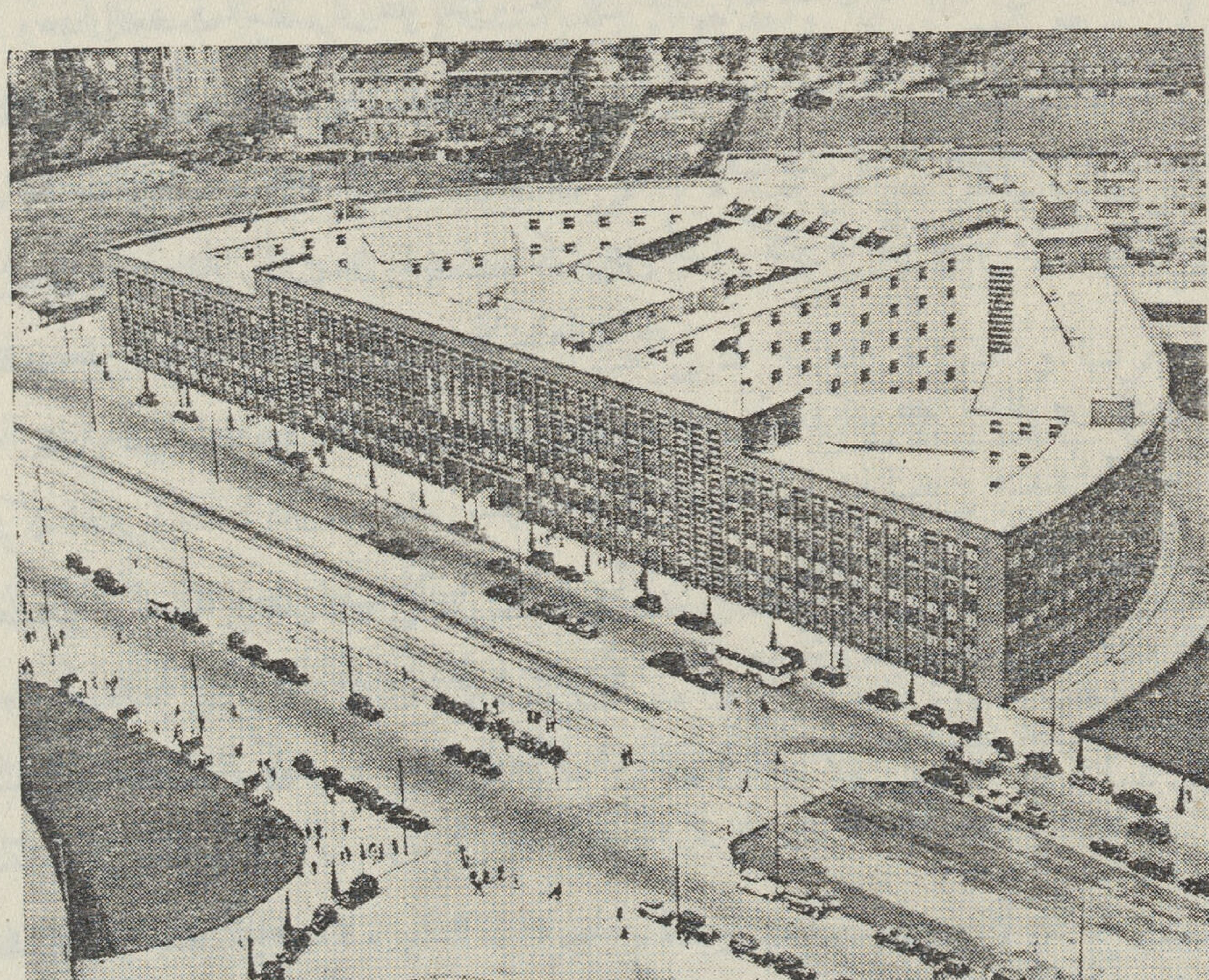

المانيا الحديثة — محطة الاذاعة فى برلين

هذا هو بعض ماقامت به الاشتراكية الوطنية فى السنوات الخمس الماضية . ويمكن الانسان أن يكره القيود التى وضعها للحرية والعقوبات القاسية التى فرضت على المخالفين ولكن هذا النجاح الاقتصادى يستحق الاطراء العظيم

* * *

قلنا هنا أن التجديد الدينى فى ألمانيا قد اثمر ثمرة مرة هو هذا الاضطهاد الذى يقع من وقت لاخر باليهود . ولكن يجب ألا يتسرب إلى ذهن القارىء أن مرجع هذا الاضطهاد هو التعصب الدينى نعنى تعصب المسيحيين على اليهود مثلا ، فان الألمان أبعد الأمم عن هذا التعصب بل هم قد بعدوا عن المسيحية ؛ وإنما هو تعصب عنصرى

وهذا التعصب العنصرى هو الذى دخل فى الدين وله الشأن الأكبر بل الكلى فى التجدد الدينى الألمانى . وإن كان كثير من المسيحيين يجدون فيه الكفر الصريح . ولكى يدرك القارىء مغزى هذه الحركة يجب أن نأخذ مثالا متطرفا منها لأن التطرف يدل على الاتجاهات والنوازع أكثر مما يدل عليها الاعتدال . ذلك أن المعتدل يسكت عن أشياء كثيرة لعله يحسها ولكن المتطرف يصرح فيكشف عن النيات المستورة أو عن الاتجاهات الخفيه

فقبل نحو شهر توفى قائد المانى عظيم يدعى لودندورف . وكان هذا القائد من الذين اشتركوا فى الحركة الهتلرية منذ أكثر من عشر سنوات ودبر الخطط الحربية لنجاح هذه الحركة . وقد ترك المسيحية تركا تاما وحمل عليها لأنها ديانة غريبة عن الروح الالمانية . ثم دعا الشعب الالمانى الى أن يعود الى الآلهة الالمانية القديمة مثل وادن وثور . بل هو أقام معبداً لهذين الالهين ونظم الشعائر لعبادتهما والفت الكتب وطبعت الرسائل فى الدعاية لهما . واتبعه عدد يجب أن نقول أنه صغير بالمقابلة الى الشعب الالمانى . ولكن هذه الحركة على صغرها تدل القارىء بتطرفها على الاتجاه العجيب عند الالمان هذه الأيام

فان دعاة الديانة الجديدة فى المانيا يقولون أن الضمير الدينى انما هو خلاصة أو عصارة أو ثمرة العنصرية . وليست الديانة شيئا يعلم ويلقن وانما هى التعبير عن النفس التى تخضع للعنصر أو السلالة التى تنتمى اليها وهذه النفس ترث من عنصريتها البيولوجية طبعا خاصا ليس فى مستطاعها مخالفته . فان النفس الصينية تنتمى الى السلالة المغولية . والنفس الألمانية هى ثمرة السلالة أو السلالات الآرية

ولا يمكن لهذا السبب أن يؤمن الصيني والالماني بديانة واحدة لأن لكل منهما طبعه الذى هو ثمرة التطور البيولوجي الخاص فى العنصر أو السلالة التى خرج كل منهما . ويزاد على هذه التراث البيولوجي تراث اجتماعي من تاريخ الامة وبيئتها . إذ كلاهما يؤثر فى النفس

فديانة الأمة يجب أن تنبع من أرضها وأن يكون ضميرها الذى يقرر لها الاخلاق ضميرا وطنيا لايتأثر بالمؤثرات الاجنبية . وإذا اتبعت الامة سليقتها التى تكونت له بتراثيها العنصري والاجتماعي فانها عندئذ تنطق عن ضميرها السوى الذى ينسجم مع كفاءتها وبيئتها . وهى حينئذ عندما تدعو الى أخلاق معينة فانما تدعو عما تحس به فى نفسها مما قد تكون لها بالوراثة والبيئة . عندئذ تستوى الاخلاق والنفس . فيسلك المرء سلوكا يسعد به إذ هو لا يجد تنافرا بين ميول نفسه وبين مقتضيات أخلاقه . لأن مرجع كليهما الى أصل واحد هو الوارثة والبيئة وكما أن لكل أمة عبقريتها الفنية وخصائصها فى الفنون بحيث يمكننا أن نميز بين الفن الايطالي وبين الفن الفرنسي كذلك يجب أن تكون لكل أمة ديانتها التى تعبر عن ضميرها وأسمى ماتنظر اليه من الاخلاق وطراز السعادة الذى تنشده الحياة الصالحة . وإذا كانت فكرة الحياة الصالحة تختلف فى الصين أو الهند أو تركيا عما هى فى المانيا أو فرنسا أو انجلترا فان الضمير الديني يجب أن يختلف بينهن أيضا . فلا يمكن تعميم قواعد الدين التى تعمل بها احدى الأمم فى أمة أخرى تختلف منها ليس فى التاريخ فقط بل أحيانا فى السلالة التى تقرر الخصائص الفنية

ومن هذه الخلاصة الصغيرة يرى القارىء مدى الخطورة التى ربما ينتهى اليها دعاة التجدد الديني فى المانيا فانها خطورة بالغة - ومن هنا هذه الكراهية لليهود . لأن اليهودى يختلف من حيث العنصر أى السلالة من الألماني - فالاختلاف هنا ليس اختلاف الدين وانما هو اختلاف المزاج والنفس والضمير

وتعصب الالمان لأرضهم ومصانعهم وبذلهم المجهودات الكبيرة لاستنباط حاجاتهم من وطنهم لكى يستغنوا عن الواردات الأجنبية . وهذه الحركة الجديدة فى الدين تتفق وهذا التعصب . فان الوطنية الالمانية قد أصبحت تعصبا عنصريا تاريخيا كما هى أيضا تعصب جغرافي

أحد المبشرين

حملت مجلة الكشكول على كاتب هذه الكلمات لانه امتدح المبشرين وأعجب بآثارهم فى جامعتى بيروت وجامعة القاهرة ونحو أربعمائة مدرسة تنتشر وتعلم أبناء المصريين والسوريين واللبنانيين والفلسطينيين والعراقيين . وأنى أستطيع أن أفهم كراهة المسلم لهذا النشاط التبشيرى . ولكن يجب أن يكون التعبير عن هذه الكراهة بنشاط آخر من جنس هذا النشاط التبشيرى . أى يجب على اخواننا المسلمين الغيورين على دينهم أن يبعثوا البعثات التبشيرية الى أقاليم أفريقيا المظلمة فيؤسسوا هناك المدارس والمستشفيات والملاجىء كما يفعل المبشرون المسيحيون . ولعل محرر الكشكول يجهل أن أول مدرسة انشئت لتعليم البنات فى افريقيا فى العصر الحديث هى مدرسة الأزبكية بالقاهرة التى أنشأها الامريكيون المبشرون قبل نحو سبعين سنة ... وسوف تذكر هذه المدرسة فى تاريخ مصر الاجتماعى على الرغم من كل شىء

وأنى أذكر لمحرر الكشكول مبشرا عرفته وأظن أنه أيضاً يعرفه . وهذا المبشر يدعى السير ويليم ويلكوكس . ويتمكن هذا الزميل المحرر أن يشترى — اذا شاء — بعض الاناجيل التى ترجمها الى اللغة العامية العربية وطبعها على نفقته وكان يبيعها بنفسه خدمة لما يعتقد أنه الحق

وقد مات هذا المبشر قبل نحو أربع سنوات ولكن كل مصرى - سواء أكان مسلما أم مسيحيا لا يمكن أن ينسى عظمته ونبالة نفسه وعمق تدينه ورغبته فى البر والخير بل حماسته لهما . فقد جاء الى مصر من الهند وهو شاب فاستخدمته الحكومة المصرية مهندساً فقام بمساحة القطر ووضع التصميم لخزان أسوان . وهذا وغيره من الأعمال التى لا تتصل بالتبشير أو بالروح الدينى اذ هى مدنية محضة . ولكن ويلكوكس كان منذ قدومه الى مصر مبشرا يضع الدين فوق كل شىء . وكان الدين عنده البر المحض وخدمة الفقراء

قص على هذا البار العظيم الذى لم يعرف المكر والخديعة أنه عند ما جاء الى مصر كلفته

الحكومة حفر النيل أو جداوله فى مديرية المنوفية . فلما ذهب الى المكان وجد مئات من الفلاحين المساكين وقد غاصوا بارجلهم الى الركب فى الوحل والماء والبرد قارس فى أقسى أيام الشتاء وليس عليهم من الملابس سوى أسمال مهلهلة . وكان الفلاح المسخر - بلا أجر - يضرب بيديه فى الطين ويحمله الى الشاطىء وهو يرتعش من البرد . قال ويلكوكس : فلما رأيت هذا المنظر وقفت وتطلعت الى السماء وأقسمت الا تبقى هذه الحال فى مصر . وكان أن كلف ويلكوكس المبشر الحكومة المصرية شراء الكراءات لكرى النهر وجداوله

هذه هى روح رجل كان يفخر المبشرون أنه منهم . فليسمع الآن محرر الكشكول موقفا آخر وقفه هذا المبشر . ففى بعض السنين الماضية انتخب السروليم ويلكوكس مديرا لشركة المياه فى القاهرة وبدهى أن المهمة الاولى التى يجب على مدير شركة ماهى أن يسعى لزيادة ربحها . أو هذا هو على الاقل ما يطلبه منه المساهمون . ولكن ويلكوكس كان « مبشرا » قبل أن يكون تاجرا . وكان بكلمة أخرى رجل يضع الايمان المسيحى والدعوة الى البر والحب فوق التجارة والكسب . وقد وجدوهو يدرس عقد الامتياز الذى تعاقدت به الشركة مع الحكومة المصرية أن أقل أجر تقبله الشركة عن تزويد البيوت بالماء هو ٣٢ قرشا أى يجب على أفقر فقير فى القاهرة أن يؤدى للشركة - بأمر الحكومة - ٣٢ قرشا كل شهر عن مقدار الماء الذى يستهلكه . وهنا وقف ويلكوكس الموقف البار الذى ينتظر منه . فانه دعا مجلس الادارة وقال لاعضائه أنه على الرغم من قبول الحكومة المصرية لهذا الاجر فانهم يجب أن يبروا الفقراء وأن ينزلوا هذا المبلغ الى عشرة قروش فى الشهر . ولم يكن يجهل أن الشركة هى شركة تجارية قبل كل شىء وأنها حصلت على أموال المساهمين لكى تزيد أرباحهم وليس لكى تنقصها . ولكنه كان مبشرا

فاذا قصد محرر الكشكول الى الاحياء الفقيرة فى السيدة زينب وبولاق والقللى ومصر عتيقة فليعرف أن الفقراء يشربون الماء الرخيص بفضل ويلكوكس المبشر وليس بفضل حكومتهم التى أجازت للشركة الربح الوفير

وفى هذه الشركة أيضا نظام هو البر العملى للعمال الذين ينالون مكافآت ضخمة عند تركهم لها اما بالتقاعد واما بالاستغناء كما ينالون المعالجة المجانية . ولعل محرر الكشكول لايدرى أنه عندما

يمرض ويحتاج الى كشف بأشعة رونتجن سيكلفه الطبيب الفاحص ثلاثة أو أربعة جنيهات . ولكن الفراش الذى يكنس أرض هذه الشركة ينال هذا الكشف بالمجان . وهذا النظام أوجده المبشر ويلكوكس !

وأخيرا نقول لمحرر الكشكول أن ويلكوكس هذا الذى كان يبيع الانجيل بنفسه وقف موقف المتهم فى محكمة لندن وكانت التهمة التى وجهت اليه أنه خائن للدولة . » وبيان خيانته أنه قال أن مشروعات السر مردوخ مكدونالد للرى فى السودان ومصر تعود بالضرر على المصريين وان كانت تنفع السودانيين . ومحرر الكشكول يعرف لمن كانت الفائدة من الزراعة فى السودان

رجل عاش للبر يدعو الى الخير ولا يعرف المكر والخديعة خدم الفلاح والغى السخرة وخدم الفقير فى القاهرة هذا هو المرحوم السر وليم ويلكوكس المهندس المبشر الذى لم يعرف المكر أو الخديعة . فلنندفع الى البر والخير أسوة به

رسائل الثقافه

تأليف ذو النون أيوب صفحاته ١٥٩ من القطع الصغير طبع ببغداد بالمطبعة العربية

هذه مقالات انتقادية عن السياسة والتقاليد العراقية كتبت فى صورة قصص طلية . وقد قال المؤلف فى مقدمتها « وقد اعتاد بعض الكتاب ان يكثروا من الكتابة عن الحاضر . واختار اخرون الكتابة عن الماضى . وسأكون من أنوع الاخير فى كتابة هذه المجموعة لانى اعتقد أن صورة الماضى لا تقل اهمية عن صورة الحاضر »

ولكن المؤلف بعد هذه المقدمة يتناول السياسة والعادات الحاضرة . والقارىء المصرى ينتفع بقراءة هذه القصص التى تنقل اليه الجو العراقى

من تأملات الامبراطور مرقص اوريليوس

ان الخيرات التى ترجو الحصول عليها فى مستقبل الايام تستطيع الحصول عليها اليوم بشرط أن لاتعمل عملا يضرك . وللحصول على هذه النتيجة ، دع الماضى وشأنه وضع المستقبل تحت العناية الالهية . أما الحاضر فارغم ذاتك على استعماله طبقاً لقواعد القداسة والصلاح .

ما أعظم قوة الانسان . انه يستطيع أن يعمل ما يأمره الله به وان يقبل بخضوع ذاك القضاء الذى كتبه الله له

اننا نكون أضحوكة أولا تكون لنا أقل تجربة فى الأمور اذا دهشنا من كل شىء يجرى فى الحياة

اذا بدأ لك أن امرأ ارتكب خطأ فسل ذاتك — هل أنا متأكد أن هذا خطأ . واذا تأكدت وقوعه فى الخطأ فقل لذاتك — ألم يحكم على نفسه انه مذنب . ففى هذه الحالة يكون قد قاص ذاته ويكون كمن فقأ عينيه بيديه

ان لم يكن هذا مناسبا فلا تفعله وان لم يكن ذاك حقيقياً فلا تقله . وليكن هذا منهاجك فى الحياة أولا يجب أن نشرع فى عمل لا غاية لنا منه . ثانياً يجب أن لا تكون لنا غاية سوى خير المجتمع الانسانى .

اذا كنت تحتدم مما يحدث لك فلأنك تنسى أن كل شىء يحصل على حسب نظام الطبيعة العامة بلا استثناء وان هفوة القريب لا تهمك بوجه من الوجوه وان كل ما يجرى اليوم كان يحدث وسيظل يحدث الى الابد

ماذا ترجو . أترجو أن تظل عائشا . وان تظل تتنفس . وان تتحرك . وان تنمو وان تكف عن النمو . وان تتكلم وان تفكر . ولكن أى هذه الأعمال تتحقق فيه أمنيتك

ان خير الأسباب لاحتقار الموت هو أن الذين رأوا فى اللذة الخير الاعم وفى الالم الشر الاعظم ازدروا بالموت كل الازدراء

ان قوى النفس العاقلة هى — انها ترى ذاتها وتنظم ذاتها . وتكيف ذاتها كيف تشاء وهى ذاتها تجنى الثمرات التى تحملها اما ماتنتجه النباتات والحيوانات الباقية . فان غيرها يجنيه أيضا . وهى تبلغ غايتها دائما فى أية لحظة تنتهى الحياة . وعلاوة على ذلك فان النفس لها القوة أن تحيط بالعالم كله . وبالفراغ الذى يحيط به . فهى تفحص عن وجهه وهى تولد الحياة الوقتية للاشياء وتعلم أن الذين يأتون بعدنا لايرون شيئا جديداً وان الذين سبقونا لم يروا شيئا اكثر منا

اذا علمت شيئا مفيداً للمجتمع فانى أكون فى هذه الحالة قد خدمت ذاتى . لتكن هذه الحقيقة حاضرة فى فكرك . ولا تكف عن ممارستها أبدا

ان الذين يصدونك عن العقل المستقيم لايعرفون كيف يصدونك عن السير حسب الواجب وانه لا يمكن لتعرضهم أن يبعد عن قلبك عواطف اخلاصك لهم

ان الفرع الذى يقصف من غصن قريب هو فرع من الشجرة كلها أيضا . وهكذا القول بالانسان فان الذى افترق عن انسان آخر قد انفصل عن المجتمع البشرى

لا يمكن للطبيعة ابداً أن تكون أحط من الفن لان الفنون ما هى الا تقليد أعمال الطبيعة

هاك تسعة أمور اذا تأملت فيها بلا انقطاع فانك تستفيد منها :

أولا — ما هى حالتى بنظر البشر . لقد ولدنا كلنا الواحد للآخر . ولكننى من وجهة أخرى ولدت لا كون فى مقدمتهم كالكبش فى مقدمة الخراف أو كالثور امام القطيع

ثانيا — افحص عن سلوك هؤلاء البشر على المائدة وفى الفراش وفى أى موضع آخر وسل ذاتك الى أى حاجات ماسة عرضوا بارائهم ومع ذلك بأى كبرياء يميلون الى الاعمال المحرمة

ثالثا — قل لذاتك بلا انقطاع أن الناس اذا كانوا يسيرون سيراحسنا فلا مبرر لعدم الرضا واذا بالعكس يعملون شراً فبلا شك انهم يعملون ذلك بجهل وبدون ارادة . والحقيقة ان النفس ليست بمحرومة أبدا من الفضيلة الا رغما عنها وانها لاتعطى لكل امرىء حقه الا برضاها

رابعا — يجب أن تعترف بأنك أنت أيضا ترتكب هفوات كثيرة وانك بهذه النقيصة شبيه باولئك البشر وان امتنعت عن بعض الهفوات فان الميل الذى يدفعك الى ارتكاب المحرمات يبقى فيك . فأنت بالحقيقة لاتمتنع الا عن الخوف وعن الانانية أو عن أى سبب آخر من هذا النوع

خامسا ـ هل هم مذنبون حقاً . انك لست متأكد. فان أعمالا كثيرة انما هي تتم لاسباب هامة فيجب أن تكون البراهين القاطعة لديك قبل أن تنتقد سلوك القريب

سادسا ـ لم تضطرب وماذا ينفعك الاضطراب . قل لذاتك عندما تشعر بحنق شديد أو عذاب كبير ان حياة الانسان قصيرة واننا نصير فى القبر بعد لحظة

سابعا ـ اعلم جيدا ان أعمال الاخوين ليست هى التى ترمينا فى الاضطراب لان الاضطراب لايستقر الا بنفس الذين يعملونها . هذا رأيى الخاص . اذاً . اطرد ما تشعر به من القلق وكف عن تعليق هذه الاهمية على ما تتذمر منه . فيزول حنقك بالوقت والحال . ولكن كيف الوصول الى ذلك . الجواب هو أن تتأكد أن لاشىء فى مايحدث لك من القريب يسبب لك الخجل والواقع أن الشر الحقيقى لايكون الا بما يخجل المرء من عمله

ثامنا ـ تذكر أن الغضب والحزن اللذين نشعر بهما من هذه الامور انما يسببان لنا شرا أعظم من ذلك الذى نتذمر منه

تاسعا ـ اعلم أخيرا أن الوداعة اذا كانت دون خبث أو دون حقد فانها لاتغلب أبدا . ماذا يستطيع أوقح البشر أن يعمله بك اذا تابعته بلطف ونبهته باخلاص . واذا بدا لك أنه يسعى ليلحق الضرر بك فلا تضطرب بل أعطه الدرس التالى — لا يا صاح لاتعمل هذا . ان الطبيعة تطلب منا خلاف هذا والواقع انك لاتضرنى بل تضر ذاتك . وعليك بعدئذ أن لاتتهكم حتى لايرى فى تهكمك سبة . يجب أن تعمل هذا بأخلص العواطف دون حدة ولتكن نصب عينيك هذه الانظمة التسع واحسبها وحيا من آلهة الفن . فاشرع أخيرا أن تكون رجلا الى آخر نسمة من حياتك . واذا أردت فانى اسدى اليك حكمة عاشرة هى هدية يقدمها لك الاله الذى يترأس آلهة الفن . اذا أردت أن لايعمل الاشرار الشر فهذا مستحيل ولكنك اذا سمحت لهم أن يلحقوا الشر بالآخرين وأنت لاتريدهم أن يلحقوه بك فذلك أجحاف ظاهر وظلم مبين

كان سقراط يسمى الاوهام والاعتقادات الباطلة مراوح للأولاد

لايستطيع المرء أن يعطى درسا بالخط أو القراءة قبل أن يأخذ هو نفسه دروسا فى ذلك وكذا القول عن السير فى الحياة

ان الذى يطلب التين فى فصل الشتاء على الشجرة التى تثمر تينا هو مجنون بلا ريب . وجنون أيضا بحث المرء عن ابنه اذا لم يعد له وجود

يقول ابيكتيت — عندما يقبل الانسان ولده يجب أن يقول عنه « غدا قد تموت — ولكن هذه كلمة يتشاءم المرء منها — فأجاب الفيلسوف — لا انها ليست كذلك لان التنبي عن العوارض الطبيعية لا شؤم فيه . ولو لم يكن هـذا الواقع لكان من الشؤم أيضا أن نقول « ان السنابل سوف تحصد »

من كتاب جاهز للطبع ترجمه باذن خاص
جورج مرار العزيزات
عمان شرق الاردن

التدخين والعقم والسرطان

تشتد الحملة على عادة التدخين فى جميع انحاء العالم المتمدن هذه الايام . ولكن الجرائد الكبرى ترفض نشر القرارات التى تصدرها الدوائر الطبية لخوفها من ان تقطع عنها الاعلانات الدسمة التى تنشرها فيها شركات السجاير والدخان . وتتلخص هذه الحملة فى ان كثيرا من اصابات السرطان تعزى الى التدخين الذى يؤثر بالسخونة فى الشفتين والفم والحلق . بان اعظم الاسباب لايجاد ورم سرطانى فى اى مكان من الجسم هو تسخين هذا المكان اى زيادة حرارته على ماحوله ولو كانت هذه الزيادة قليلة جدا . وهذا هو ما يفعله التدخين . بل لقد وجد ان التبريد المستمر يشفى السرطان وفى هذا تأييد سلبى للنظرية القائلة بنشوء السرطان من التدخين

وسبب آخر يـدعو الدوائر الطبية الى مكافحة عادة التدخين انها تجد فيها سببا للعقم بين النساء والرجال المدخنين . وهذا العقم ينشأ اولا بصورة الضعف فى الشهوة الجنسية حتى ليبدو المدخن وهو فى سن الاربعين وكأنه قد بلغ الستين اذ لا يلتفت الى النساء . ثم ينتهى هذا الجمود الى عقم تام

مشروع الموت الاختيارى للمرضى

اعلن الدكتور شارلس فرانسس مونز زعيم جمعية الرفق بالانسان البدائى فى نيويورك تأسيس جمعية اهلية لوضع القوانين الخاصة بالموت الاختيارى

وستقوم هذه الجمعية بحملة تعليمية فى انحاء البلاد وتعد المشروعات القانونية التى تعرض على البرلمان الامريكى وستسمى هذه الجمعية بالجمعية الاهلية لتشريع الموت الاختيارى ويكون بين اعضاء مجلس ادارتها ومجلسها الاستشارى ٤٩ عضوا من كبار زعماء الامريكيين والبريطانيين فى الشؤون القانونية والطبية والتعليمية والوزارية والادبية .

وقد قال الدكتور فى حديث عن هذا المشروع :

ان تأسيس جمعية الموت الاختيارى قدجاء تلبية لحاجة حقيقية يشعر بها المفكرون من اهل هذه البلاد .

وقد شعرت بنفسى بصفتى قسيساخلال السنوات العديدة الماضية شدة الحاجة الى اصدار قانون يبيح الموت الاختيارى فى احوال معينة وبقيود خاصة فكثيرا ماشاهدت اشخاصا فى متوسط العمر او فى سن الشيخوخة ـ واكثرهم من النساء ـ يموتون بعذاب طويل والام مبرحة بسبب بعض الامراض كالسرطان وكانوا يطلبون منى ان اعطيهم سرا حبوبا سامة سريعة التأثير لكى يتخلصوا من آلامهم وعذابهم

الى ان قال : ومن المحقق ان المتعرضين سيقومون عند طلب اصدار القوانين الخاصة بالموت الاختيارى فيقولون ان هـذا مخالف للوصايا العشر ومع ذلك نرى انه لما قامت الحرب العالمية كان جميع المشتركين فيها من المسيحيين تقريبا وقد قتل فيها عشرة ملايين نفس

ويلوح لى ان هؤلاء المعترضين لايذكرون الوصايا العشر عن احداث القتل فى الحرب ـ بالجملة وفى حالات الغضب والبغض . ولعل الوقت قد حان لنسيان وصايا موسى والعمل بما قاله ـ المسيح ـ طوبى للرحماء لانهم يرحمون ـ

كذلك يجب ان يموت المصابون بالجنون الذين لا امل فى شفائهم لانه يوجد فى ملاجىء المجانين ٥٠٠ الف مجنون غير قابلين للشفاء . فالى متى سيبقى العقلاء عقلاء اذا كانت الضرائب التى يدفعونها للانفاق على المجانين ستستمر فى الازدياد

ثم قال انه ستتخذ الضمانات الكافية لمنع سوء استعمال الموت الاختيارى . يقول بعض الناس ان الله وحده هو الذى له حق اعطاء الحياة واخذها ولكننا نعترف فى قوانيننا بحق قتل الاعداء فى الحرب وبحق اعدام القتلة وبحق ارتكاب القتل فى حالة الدفاع عن النفس فيجب ان يضاف الى هذه الحقوق حق اخر وهو حق انهاء حياة المرضى المعذبين الذين لا امل فى شفائهم رحمة بهم

من اجل أصدقائك

اذا كان لك صديق او صديقة وتحب ان تهدي اليهما او الي احدهما هدية ثمينة تذكر بها في كل شهر فاهد اشتراك المجلة الجديدة . ونحن نسهل لك هذا بان نجعل قيمة الاشتراك ثلاثين قرشا فى العام . ونزيد على ذلك اهداء ثلاثة كتب هي ١ ـ صور ولمحات من حياة طالب فى اوربا و ٢ ـ الثورة العرابية و ٣ ـ مصر اصل الحضارة

ولكن نشترط الشروط الاتية .

١ ـ ان يعرفنا بالمشترك الجديد مشترك قديم بالمجلة الجديدة

٢ ـ ان يؤدي قيمة الاشتراك مقدما

٣ ـ ان هذا الاشتراك لسنة ١٩٣٨ ولا نقبل تجديده بهذه القيمة لسنة اخري

١٢ شارع نوبار (الدواوين) بمصر

بعض التأثيرات القبطية
فى الفنون الاسلاميه

للدكتور زكي محمد حسن

كان مؤرخو الفنون الجميلة حتى القرن الماضى وأوائل القرن الحالى يطلقون اسم « الفن العربى » على الفنون الاسلامية ، ولكن الدراسات الحديثة ، وما قام به العلماء من الحفائر والابحاث ، وما جمعته دور الآثار من تحف فنية إسلامية ، كل ذلك أثبت خطأ التسمية المذكورة ، فان الفنون التى نمت وترعرعت وازدهرت فى انحاء العالم الاسلامى ، لم يساهم العرب فيها بنصيب يخولهم الحق فى نسبتها اليهم

ولسنا نريد أن نقول أن شبه جزيرة العرب لم يكن فيها أى فن ، حين ظهر الاسلام فيها ، وانتشر منها الى البلاد المجاورة . فان الفن يشمل كل ما يصنعه الانسان للتعبير عن خياله . أو لترجمة شعوره . وإذا كنا ننسب الى الانسان فى العصر الحجرى فنا يتجلى فى النقوش التى عثر عليها فى كهوف فرنسا واسبانيا ، واذا كنا نرى الكتب مؤلفة فى فنون الزنوج ، الذين يعيشون فى مجاهل أفريقيا وأمريكا الجنوبية ، فلا يجوز أن ندعى أن العرب قبل الاسلام لم تكن لهم أى حضارة ولم تكن لهم أى فنون

ولكننا لانستطيع أن نعارض فى أن الفن العربى قبل الاسلام كان متأخراً الى أبعد حد . ولا نملك أن نقارنه بالفنون التى كانت زاهرة إذذاك عند الفرس وعند البيزنطيين وعلى ضفاف النيل ، حيث كانت تسكن شعوب تعيش فى رخاء واستقرار ، وحيث كانت طبيعة البلاد لاتضطر القوم الى عيشة تنقل وعزلة وركود

كما أننا لانشك فى أن العرب ، لو تركوا لأنفسهم ، وظلوا منعزلين فى شبه الجزيرة ، لما ظهرت فى العالم الفنون التى طبعوها بطابع دينهم الجديد ، بعد أن أخذوا أصولها على الامم التى اختلطوا بها

حين امتدت الدولة الاسلامية ، واتسع نطاقها . وكان للامم المذكورة ماض فنى مجيد . واذا أردنا أن نقرب الى أذهاننا بمثال مادى الدور الذى لعبه العرب فى قيام الفنون الاسلامية ، ذكرنا مثل الذى ينشر كتابا ، أو يصدر مؤلفا يكتب فيه المقدمة فقط أو المقدمة وفصلا واحدا . ويتعاون فى كتابة سائر فصول الكتاب نخبة من المؤلفين يجمعهم مخرج الكتاب ، ويفهمهم الغرض من تأليفه وما يجب أن يراعيه كل منهم فى كتابة الفصل الذى يساهم به حتى لا يتعارض مع السياسة العامة التى يريد المخرج أن ينسج عليها فى الكتاب

وهكذا ترون أن الفنون التى كانت تنسب الى العرب ليست ملكيتها خالصة لهم ، وأن أصلح الأسماء التى يمكن أن يطلق عليها هو اسم الفنون الاسلامية ، لان الاسلام كن حلقة الاتصال بينها ولانه جمع شتاتها ، وطبعها بطابع يميزها عن غيرها ، وجعلها وحدة متميزة ، على الرغم من تباين أصولها

وقد كتب ابن خلدون فى مقدمته فصلا فى « أن المبانى والمصانع فى الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول » ورأى أن السبب فى ذلك هو أن العرب أعرق فى البداوة وأبعد عن الصنائع ، وانهم استغنوا بما وجدوا من مبانى غيرهم ، فضلا عن أن الاسلام كان فى أول الامر مانعا من المغالاة فى البنيان والاسراف فيه ، فلما غلبت طبيعة الملك والترف ، واستخدم العرب أمة الفرس ، أخذوا عنها الصنائع والمبانى . ويقارن ابن خلدون بين فقر العرب فى هذه الناحية ، وبين غنى غيرهم من الامم كالفرس ، والقبط ، والروم ، الذين طالت آمادهم ورسخت الصنائع فيهم ، فكانت مبانيهم وهيا كلهم أكثر عدداً وأبقى على الايام أثرا . ويختم ابن خلدون الفصل المذكور بعبارته الظريفة . « استبصر فى هذا تجده كما قلت لك والله وارث الارض ومن عليها »

وكانا نعرف أن العرب حين فتحوا العراق وبلاد العجم والشام ومصر وجدوا شعوبا تفوقهم فى الحضارة ، فأطلقوا لها قسطا وافرا من حريتها ، وتركوها تحتفظ بأنظمتها الادارية وقوانينها وعاداتها

وظلت الصناعات والمهن الحرة فى أيدى أهل البلاد ، من اعتنق منهم الاسلام ، ومن لم يعتنقه فنرى أن منتجات الفنون الاسلامية فى عصورها الاولى ذات علاقات وثيقة بالمنتجات الفنية فى البلاد

التى فتحها العرب ، نظراً لاعتماد العرب فيها على الصناع والفنيين الوطنيين ولان التطور فى أساليبها الصناعية كان بطيئا

على أن اتصال العرب برجال الفن والصناعة من القبط لايرجع الى العصر الاسلامى فقط ، بل إن المصادر العربية تحدثنا أن الكعبة طغى عليها قبيل ظهور الاسلام سيل عظيم صدع جدرانها ، فاعانت قبيلة قريش بناءها ، مستعينة فى ذلك بنجار قبطى كان يسكن مكة ، وبتاجر رومى إسمه باقوم ، كان البحر قد عصف بسفينته القادمة من مصر ، فتحطمت فى ثغر جدة وكانت تحمل مواد بناء معدة لكنيسة فى بلاد الحبشة

تعاون إذن النجار القبطى والتاجر الرومى على بناء الكعبة . ولا ريب فى أن أثرياء مكة كانوا يلجأون الى ذلك النجار القبطى لعمل مايحتاجونه من الادوات الخشبية . ولم يكن مايلزمهم شيئاً كثيراً

وفتح العرب مصر سنة ٦٤١ ميلادية ، ولكنهم لم يغيروا كثيراً فى النظام الادارى الذى خلفه العصر البيزنطى . وظلت مصر نحو قرنين من الزمان يحكمها ولاة ، يعينهم الخلفاء . ولم يهاجر الى وادى النيل فى بداية الأمر عدد كبير من العرب . ولاسيما فى العصور الأولى بعد الفتح ، اللهم إلا فى الفسطاط ، والاسكندرية ، وأسوان ، والاقاليم الذى يعرف الآن باسم مديرية الشرقية . وقبض القبط على زمام عدد كبير من الوظائف ، وظلت فى يدهم الصناعات والفنون ، ولم يلبثوا أن ابتلعوا العنصر الفاتح ومصروه ، وإن يكن أفلح فى أن يفرض عليهم لغته ، وأن يحمل أكثرهم على اعتناق الاسلام ومع ذلك فان العنصر المصرى لايزال حافظاً لكيانه حتى الآن وقد أثبت البحث أن نحو أربعة أخماس سكان مصر الحاليين أصلهم من القبط ، الذين أسلم أغلبهم منذ أوائل العصر الاسلامى . وهم لم يعتنقوا الاسلام هرباً من الاضطهاد الدينى ولكن اعتنقوه لاختلاطهم بالمسلمين واهتدائهم بتعاليم الدين الجديد ، أو ليفروا من دفع الجزية أو لتكون لهم ما للمسلمين من امتيازات دينية وسياسية واجتماعية

وكلنا نعلم أن مصر ، حين اتخذت المسيحية ديناً فى القرن الثالث الميلادى ، نشأ فيها فن قبطى ، قام إلى حد كبير على التقاليد الفنية الموروثة ، ونما وترعرع وبلغ الذروة العليا فى القرنين

الرابع والخامس ، وزادت الاسكندرية عمراناً ، وظلت مركز صناعات وفنون عديدة

ولا يعنينا هنا أن نتحدث عن نشأة الفن القبطى ، ولا أن ندخل فيما بين العلماء من خلاف على تحديد المصدر الرئيسى الذى استمد منه هذا الفن مافيه من زخارف وأساليب فنية ، فان المرجع فى هذا كله الى اساتذتنا وزملائنا من الاختصاصيين فى هذا الفن ، وحسبنا أن نذكر أن المزج الذى تم بين التقاليد الفنية الاغريقية والمصرية القديمة ، نشأ عنه فى الاسكندرية فن صناعى شعبى . وكان هذا الفن بدوره نواة الفن القبطى ، الذى تشيع فوق ذلك بكثير من الأساليب الفنية التى كانت معروفة فى الشرق الادنى

على أننا نعرف أن الكنيسة القبطية انفصلت عن الكنيسة الاغريقية فى منتصف القرن الخامس ، واستقل الفن القبطى شيئاً فشيئاً وزالت الروابط التى كانت تلحقه بالفن البيزنطى ، وبدأ الفنانون القبط يقلعون عن نحت تماثيل الانسان أو تصويره ، وفقدوا مهارتهم فى هذا الميدان ، وأقبلوا على استخدام الموضوعات الزخرفية الهندسية والنباتية ، التى أخذها عنهم العرب وتطورت على يد المسلمين حتى وصلت الى ما نعرفه فى الزخارف الاسلامية الهندسية والنباتية من دقة وإبداع. أما الذى كان باقياً فى الفن القبطى من نحت أو تصوير آدمى ، فانه فقد ما كان فيه من صدق تمثيل للطبيعة ، وصار فى طريق يمهد لما أصاب الصور الآدمية ، والصور الحيوانية ، فى الفنون الاسلامية من خيال ، وتهذيب ، وبعد عن تمثيل الطبيعة

وعلى كل حال فان العرب ، حين فتحوا مصر ، وجدوا لدى القبط فنوناً زاهرة ، فاعتمدوا عليهم فى صنع ما كان يلزمهم من حاجيات وفى بناء ما كانوا يحتاجون إليه من أبنية

ونحن نجد فى الاوراق البردية ، التى وصلت إلينا ، وفى المصادر التاريخية ، التى تناولها العلماء بالبحث والتمحيص ، إشارات كثيرة الى إرسال العمال والصناع المصريين الى الشام وسورية وبلاد العرب للعمل فى بناء المساجد أو لزخرفتها بالفسيفساء والجص وغير ذلك

وإذا تذكرنا ما أشرنا إليه من إقبال القبط على دخول الاسلام ؛ وأن هذا الاقبال كان على أشده فى المدن ، حيث كان الاختلاط بالمسلمين أكبر ، والتبشير بالدين الجديد أعم وأفضل ، والرغبة فى النفع المادى أشد وأقوى والتعصب للدين القديم أضعف وأوهى ، وإذا تذكرنا فوق ذلك أن المدن

كانت موطن الفنون والصناعات ، أمكننا أن نقول فى ثقة واطمئنان أن الفنون والصناعات الاسلامية فى مصر فى أول العصر الاسلامى كانت فى يد المصريين ، سواء اعتنقوا الاسلام أوظلوا على دينهم القديم

ولا بد لنا الآن من البدء فى استعراض الفنون الاسلامية المختلفة لنرى بعض التأثيرات القبطية فيها ، استعراضاً لن نتطرق فيه الى الدقائق والتفاصيل ، مما لا يتفق والغرض من هذه المحاضرة ، والزمن المخصص لها

أما العمارة فطبيعى ألا يعرف العرب عنها فى الجاهلية شيئاً يذكر فقد كان أكثرهم قوماً رحلا متنقلين ، أو « أهل الوبر » كما يقولون

والحضر منهم أو أهل المدن كانوا يسكنون فى بيوت من اللبن أو الآجر لا يمكن أن نعدها نواة لما بلغته العمارة الاسلامية من فخامة وإبداع ، وما وصلت اليه من أساليب لا تبارى فى الضخامة والجمال

بينما بقايا الكنائس التى عثر عليها فى باويط واسنا وطيبة وسقاره واسوان ، وكذلك الدير الابيض والدير الاحمر ، اللذان لا يزالان قائمين بالقرب من سوهاج ، وكذلك تيجان الاعمدة المحفوظة فى المتحف القبطى ، كل هذا يدلنا على التقدم الذى كانت عليه العمارة القبطية حين فتح العرب مصر . ولا شك فى أن العرب حولوا عددا من الكنائس فى سورية وفى مصر الى مساجد، يقيمون فيها شعائر دينهم الجديد . ولا شك أيضا فى أنهم نقلوا من المعابد والكنائس القديمة كثيرا من الاعمدة والتيجان ، استخدموها فى مساجدهم وبيوتهم ، كما يتجلى من وجود الاعمدة القبطية فى جامع عمرو ، على أنهم لم يكونوا أول من فعل ذلك فالقبط المسيحيون كانوا يهدمون الابنية الاثرية لاستخدام موادها فى أبنية جديدة . وسعادة مرقص سميكة باشا يذكر فى دليل المتحف القبطى أنه لما أصبحت المسيحية فى القرن الرابع للميلاد الدين الرسمى للامبراطورية الرومانية ، حول النصارى الهيا كل الى الكنائس بأن نقشوا الصلبان على أعتاب أبوابها وأعمدتها ، وأبادوا الاصنام ، وغطوا ما كان منقوشا على جدرانها من صور الآلهة القديمة ، بطبقة من الجبس ، رسموا عليها صور السيد المسيح والرسل والقديسين ، وبنوا مذابح لاقامة القداس ولا تزال آثار ذلك ظاهرة الى يومنا هذا

بأغلب معابد الوجه القبلى بأسوان والاقصر والكرنك وغيرها . كما نرى فى بعض هذه الكنائس والاديرة أحجارا انتزعت من المعابد الفرعونية القديمة واستخدمها القبط فى أبنيتهم الجديدة . ولا عجب فان روح المحافظة على الآثار وتراث الاقدمين أمر لم يكن يعرفه القوم فى ذلك الحين

ومهما يكن من شىء فان العرب استخدموا فى أول الأمر المعماريين المصريين من قبط باقين على دينهم أو داخلين فى الاسلام . وكان ما يحتاجه العرب من الابنية وما يناسب تقشفهم وبعدهم عن الترف لايتجاوز مساجد بسيطة التخطيط ، أو دورا للأمراء تشبهها فى البساطة ، على أن عمارة المساجد لم تلبث أن دخلتها زيادات ثانوية ، قد يكون حدوثها تأثيراً مسيحيا . فكثيرون من العلماء يظنون أن المحراب مأخوذ عن الحنية التى توجد فى صدر الكنيسة ، وكتب بعض علمائهم فى ذلك : فألف السيوطى رسالة سماها « اعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب » كما أننا نلاحظ أيضا أن عمر بن عبد العزيز حين أعاد تشييد الجامع النبوى فى المدينة عهد ببناء جزء منه الى معماريين من القبط بنوا فيه أول محراب مجوف فى الاسلام كما يحدثنا ابن دقماق والمقريزى

وكذلك يظن بعض العلماء أن مآذن الجوامع الاسلامية مأخوذة عن أبراج الكنائس . وان بعض المآذن فى سورية كانت أول أمرها أبراج كنائس مسيحية . وليس هذا الظن غريباً فى شىء وان كان الواقع أن المؤرخين وعلماء الآثار اختلفوا فى تحديد التاريخ الذى أدخلت فيه المنارات أو المآذن فى المساجد الاسلامية . وبعضهم يظن انها لم تكن فى بداية الامر للآذان فحسب . وعلى كل حال فان المجال هنا لايسمح بشرح الآراء المختلفة فى هذا الشأن

وفضلا عن ذلك فاننا نعرف أن القبط أتقنوا استخدام القباب . وقد يكون استخدامها فى عصور ازدهار العمارة الاسلامية فى مصر متأثرا بالطراز القبطى بعض التأثير

ولن نستطيع أن نختم كلمتنا عن العمارة دون أن نشير الى أن مهندس الجامع الطولونى كان نصرانيا ويقال انه كان قبطيا

أما فى زخرفة المبانى فقد أخذ المسلمون عن القبط كثيرا من الموضوعات الزخرفية ، كالفروع النباتية والزخارف المشتبكة وورق شوكة اليهود وكتزيين التجاويف بالزخارف المحارية الشكل

وكما كانت جدران الكنائس القديمة وقبابها من الداخل تطلى بطبقة من الجبس ، فقد كانت

المساجد والدور فى العصر الاسلامى تطلى به أيضا . ولا يفوتنا هنا أن نذكر العـــلاقة الوثيقة بين زخارف الجبس فى بواطن العقود بالجامع الطولونى وبين الخطوط المشبكة المتداخلة ، والخطوط اللولبية واللآلىء ، والاشرطة ، والخطوط المنكسرة ، وغيرها من الزخارف التى كان الفن القبطى قد أخذها عن الفن البيزنطى . وهكذا نرى أن فى العمارة الاسـلامية تفاصيل تنبىء عن أصولهـا الاولى ، على الرغم من انها اكتسبت سريعا شخصية ظاهرة ، وأصبح فيها أشياء تجمع بين منتجاتها فى الاقطار الاسلامية المختلفة ، وتجعلها تختلف عن عمارة الصناع المحليين ، الذين قامت فى أول أمرها على اكتافهم

* * *

ولنترك العمارة جانباً لنعرج على صناعة النسج . وهى الصناعة التى لا يستطيع أكثر العلماء تعصباً ضد الفن القبطى أن ينـكر أنها تقدمت على يد القبط تقدماً كبيراً . ولا غرابة فى ذلك فقـد كانت صناعة النسج زاهرة بمصر فى عهد الفراعنة فحمل الأقباط لواءها ، وأتقنوا بجانبها صناعة الأصباغ ذات الألوان الثابتة ، وكانوا يصدرون منسوجاتهم الى روما وبيزنطة . وقـد وصلت إلينا نماذج كثيرة من المنسوجات القبطية ، بفضل جفاف التربة المصرية ، وما اعتاده الأقباط من تـكفين موتاهم فى أجمل ملابسهم ودفنهم فى مقابر رملية بالصحراء ، بعيدة عن وادى نهر النيل ، وما يصيبه من نشع أو يعمه من فيضان . وقد أثبتت هـذه النماذج تفوق الأقباط فى ميدان النسج وكان الـكتان والقطن ينسجان فى البلاد المصرية المختلفة ، ولا سيما فى الدلتا ، بتنيس والاسكندرية وشطا ودمياط ودبيق والفرما . كما اشتهرت أيضاً بنسجهما مـدينة البهنسا بينما كانت الأقمشة الحريرية تنسج فى الاسكندرية وفى دبيق — وكانت صناعة النسج زاهرة أيضاً فى أخميم وأسيوط . واشتغل الرهبان بالنسج وأتقنه كثيرون منهم

وعلى كل حال فان المراكز الرئيسية لصناعة النسج فى العصر الاسلامى كانت فى أغلب الأحيان نفس مدن النسج فى العصر القبطى وكان عدد كبير من سكانها لا يزالون على دين المسيح

وكانت صناعة النسج فى العصر الاسلامى منظمة تنظيما دقيقاً .. فـكانت الأقمشة تنسج فى مصانع حكومية .. تسمى طراز الخاصة .. إذا كانت مما اختص بصناعة منسوجات الخليفة وما كان يلزمه ليخلعه على رجاله وحاشيته والمقربين اليه .. وتسمى طراز العامة .. إذا كانت مما يشتغل فضلا

عن هـذا بانتاج المنسوجات اللازمة للشعب . كما كانت هناك مصانع أهلية تسير جنباً الى جنب مع الطراز أو المصانع الحكومية .. وكانت الدولة تثقلها برقابة شديدة وضرائب فادحة . ويدل النص الذى تركه الجغرافى « المقدسى » فى هذا الشأن على أن النساجين كانوا من القبط

ولعل أبلغ دليل على فضل القبط فى صناعة النسج أن العرب كانوا ينسبون اليهم المنسوجات فيسمونها « قباطى »

وعلى كل حال فان صناعة النسج لم تطبع فى مصر بطابع إسلامى ظاهر الا فى العصر الفاطمى (أى ابتداء من أواخر القرن العاشر الميلادى) .. وكان أغلب النساجين قبل ذلك من القبط الباقين على دينهم . على أن العرب عنوا كثيراً بتشجيع هذه الصناعة لما اعتاده الخلفاء والأمراء من مكافأة حاشيتهم وكبار رجال دولتهم بالخلع النفيسة وقد ذاع صيت مصر فى انتاج المنسوجات .. حتى وقع عليها اختيار الخليفة لارسال كسوة سنوية الى الكعبة

وكان العرب منذ الفتح يميلون فى الزخرفة الى العناصر الهندسية والنباتية لكرههم تصوير الانسان والحيوان . وكان هـذا الميل نفسه قد بدأ فى الفنون القبطية منذ منتصف القرن الخامس الميلادى . فلم يجد المصريون صعوبة كبيرة فى ارضاء الفاتحين.وانتاج التحف الفنية التى تتفق ومزاجهم

ولكن النساجين القبط احتفظوا مدة طويلة فى العصر الاسلامى ببعض الموضوعات الزخرفية التى كان الروم قد نقلوها عن الفرس .. كالدوائر المتماسة .. أو المنعزلة .. وكالحيوانين المتقابلين .. أو الذين يولى كل منهما الآخر ظهره .. وتفصلهما شجرة الحياة المقدسة أو شجرة الخلد .. التى نجدها فى كثير من الزخارف الايرانية

وقد كان الفن القبطى قد فقد قبل ظهور الاسلام الابداع والدقة فى رسم الانسان والحيوان ، مما امتازت به الفنون البيزنطية ، ولكننا نراه يعوض عن هـذه الخسارة الفنية باتخاذ عدد كبير من الألوان البراقة ، يستخدمها جنباً الى جنب فى تناسب وتناسق ، وبما بلغه من اتقان فى تهذيب الرسوم النباتية والهندسية ، مما كان له أكبر الأثر فى الفنون الاسلامية بعد ذلك

وحين أصبحت صناعة المنسوجات فى العصر الفاطمى إسلامية بحتة لم تخل فى زخارفها مما يدل

على بعض علاقة بماضيها فى وادى النيل

ويجدر بنا أن نشير إلى أن المتاحف والمجموعات الأثرية الكبيرة ، فيها قطع عديدة من النسج تدل زخرفتها على أنها من عصر الانتقال من الطراز القبطى إلى الطراز الفاطمى ، وقد يصعب أحيانا تمييزها من القطع القبطية البحتة . بينما نرى فى بعض الأحيان قطعاً من القماش ، عليها كتابة بالخط الكوفى تثبت دون شك أنها من صناعة العصر الاسلامى ، ولكننا نرى عليها الى جانب ذلك زخارف قبطية فى طرازها وموضوعها . وكان ذلك مألوفاً فى المنسوجات المصنوعة فى إقليم الفيوم ، وبعض أطراف الناحية ، حيث كانت المحافظة أشد ، والتعصب للقديم أقوى

* * *

أما صناعة الخشب فقد مهر قدماء المصريون فيها مهارة يشهد بها مانراه من تماثيلهم الخشبية النادرة كتمثال شيخ البلد بالمتحف المصرى وكغيره من التماثيل . وذلك على الرغم مما عرفت به مصر فى كل العصور من الفقر فى الخشب ، ولاسيما إن مايوجد بها من الشجر لايصلح خشبه إلا لأعمال النجارة البسيطة . ومثل ذلك شجر الجميز والسنط والبندق السرو والزيتون

فكان المصريون منذ العصور القديمة حتى الوقت الحاضر يستوردون من البلاد المجاورة ما يلزمهم من خشب الأرز والصنوبر والابنوس والتك وغيرها من أنواع الخشب المتينة . وكان جفاف الجو يساعد على بقاء الخشب فى حالة جيدة

وقد ورث الفن القبطى مهارة قدماء المصريين فى صناعة الخشب ونقش الزخارف عليه . وتطورت هذه الصناعة على يد النجارين القبط الذين تأثروا بالفن البيزنطى فزادت الزخارف فى مصنوعاتهم الخشبية زيادة اكسبتها رونقا وجمالا ، وزاد إنتاجهم كثيراً كما نرى من الأخشاب التى لاتزال باقية فى الكنائس والأديرة . وقد اشتغل الرهبان بالنجارة وأتقنها كثيرون منهم

وتتجلى عناية القبط بالنجارة فى الذى نراه الآن فى بعض قرى مصر من اختصاص الأسرات القبطية بها

على أن التقاليد القبطية فى صناعة الخشب أخذت تتطور شيئاً فشيئاً بعد الفتح الاسلامى حتى أصبحت فى العصر الفاطمى صناعة إسلامية حقة . وفى هذا الميدان كغيره من

ميادين الفن والصناعة أقبل الفاتحون على استخدام المصريين دون أن يكون لديهم كبير اعتبار . فالمسلمون كانوا فى الحقيقة يعطون ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، وكانوا يدركون فى ذلك الحين أن الحرب والقتال من اختصاصهم والصناعة والزراعة من اختصاص أهل البلاد . وظل الحال على هذا المنوال حتى غير العرب ما بأنفسهم وتركوا الجندية وتمصروا واستعربت البلاد . وقد وصلت الينا قطع خشبية ترجع الى عصر الانتقال بين الصناعه القبطية البحتة فى القرن السابع والصناعة الاسلامية فى القرن التاسع الميلادى ونقوش هذه القطع مكونة من أوراق وعناقيد عنب وزخارف نباتية وغير ذلك من النقوش التى امتاز بها الشرق الادنى فى العصر المسيحى . وبعض القطع المذكورة لانكاد نميزه عن القطع القبطية الا بما عليه من كتابات عربية

وفضلا عن ذلك فلا يبعد أن يكون العرب فى مصر قد اتخذوا لانفسهم شكل كثير من قطع الاثاث القبطية كالدواليب والموائد ولعلهم أخذوا عنهم أيضا الكرسى الذى يحمل عليه المصحف والذى يعرفه القبط باسم منجليه (أى محل الانجيل) . وطبيعى أن يتأثر على هذا النحو قوم أصلهم رحل ، صاروا يعيشون جنبا الى جنب مع آخرين سبقوهم فى الحضارة وسكنى المدن

أما فى التصوير فان أثر الفن القبطى فى الفنون الاسلامية لم يكن يستحق الذكر ، لانها انما تأثرت بالتقاليد الصناعية والاساليب الفنية التى كانت تسود فى سوريه مركز الخلافة الاسلامية فى العصر الاسلامى . وفى ايران ذات الماضى المجيد فى فنون النقش . وعلى كل حال فان نمو صناعة التصوير فى الاسلام كان محدودا ، لان المسلمين كانوا يكرهون النحت وتصوير الاحياء ، لما فيهما من تقليد الخالق . ورغبة فى الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يقرب الى عبادة الاوثان . ولكن كراهية التصوير لم تكن وقفا على الاسلام ، فقد سبقته اليها اليهودية . والمسيحية نفسها ولدت فى فلسطين بين اليهود . ولم تكن لهؤلاء تقاليد فنية ، ولكن المسيحية لم يدفع عنها أهلها ، ولم تصبح فى أول الامر ديانة فلسطين . بل احتضنها الاغريق وغذوها بتراثهم القديم ، فظهر الى الوجود فن مسيحى على الرغم من تعاليم الرسل وآباء الكنيسة . وكانت نواة هذا الفن الاساليب الفنية الاغريقية . ولم يلبث الفن المسيحى أن أصبح فى جوهره وسيلة من وسائل التعليم الدينى

وفضلا عن ذلك فاننا كنا نذكر حركة الايكونوكلاست أى (كاسرى الصور) التى قام

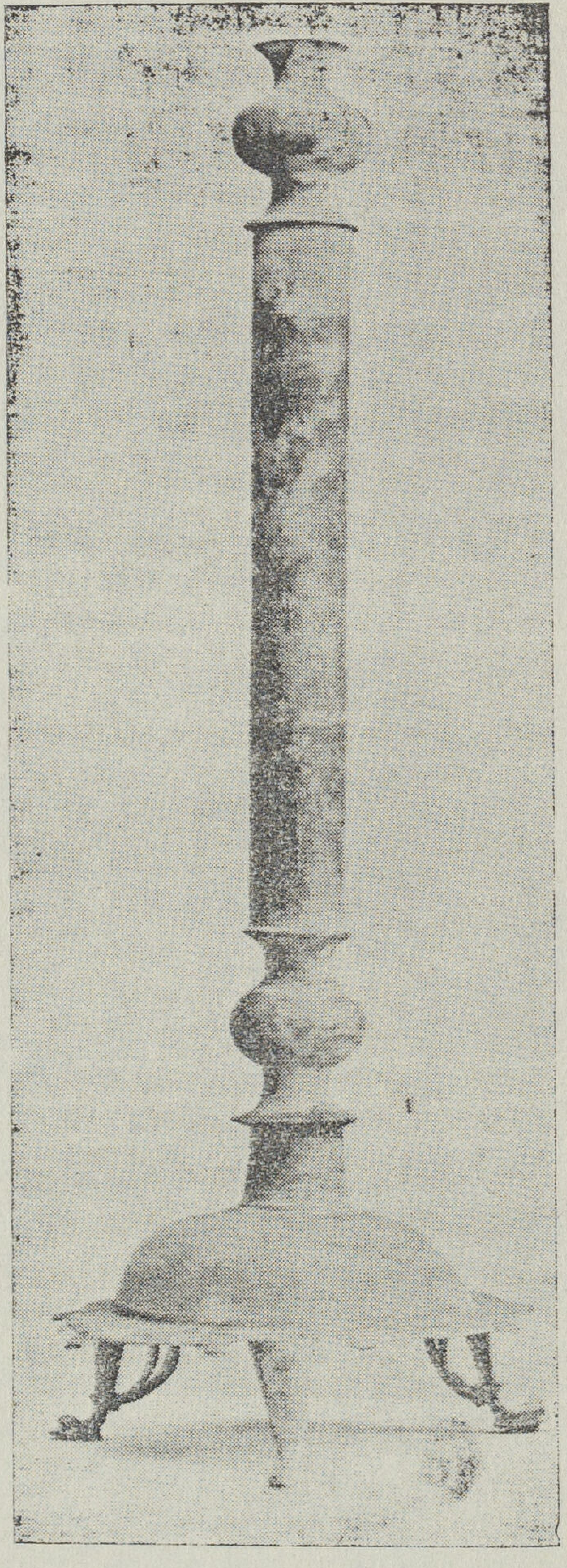

شمعدان اسلامي منقول شكله عن نوع
كان ذائعا في العصر القبطي

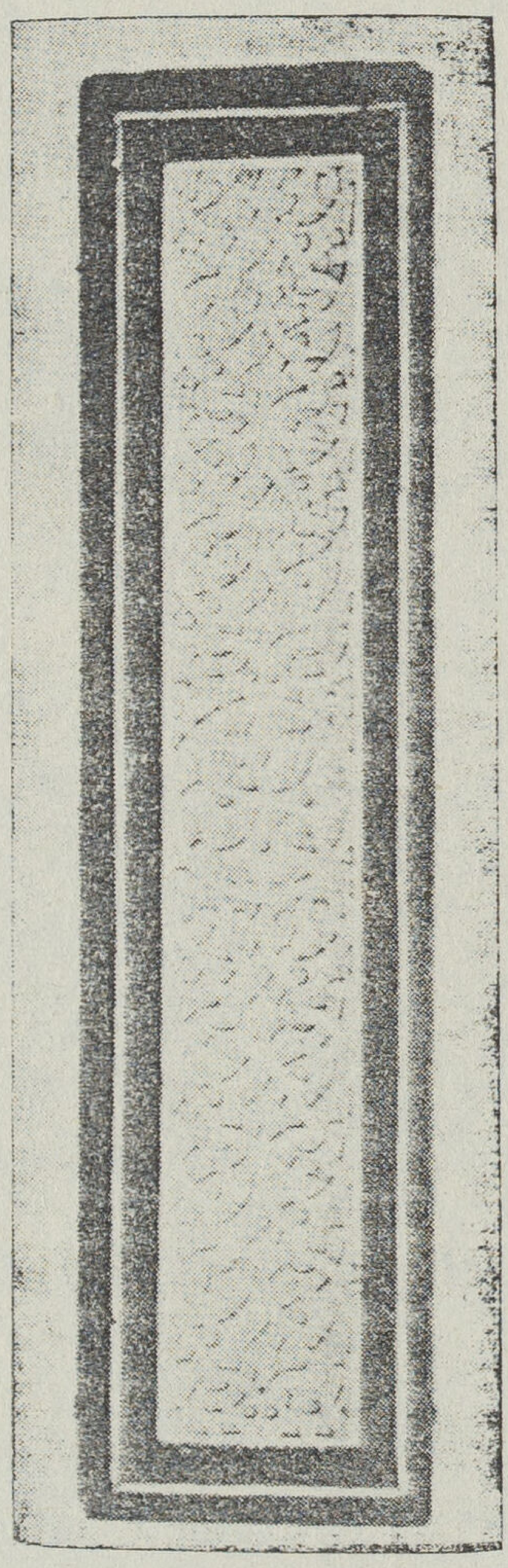

حشوة من العاج من العصر الاسلامي
وبين زخارفها رسم صليب

بها فى القرن الثامن الميلادى فريق من المسيحيين يدعون إلى تكسير صور الرسل والقديسين ووضع حد لتبجيلها والاعتقاد بكراماتها

ومهما يكن من شيء فان المصريين كانوا منذ اعتناقهم المسيحية يزينون جدران كنائسهم بصور الرسل والقديسين منقوشة على الجص

وكانت هذه الصور فى العصر اليونانى الرومانى ناطقة تشبه الأشخاص كل الشبه . وظلت كذلك فى أوائل العصر القبطى كما ترى فى باويط . ثم فقد القبط شيئا فشيئا المهارة فى رسمها فاصبحت تقليدية جافة ، لا حياة فيها ولا قوة تعبير

ولكن أثر التصوير القبطى ظاهر فى صور صغيرة إسلامية ترجع الى القرن التاسع والعاشر والحادى عشر وهى محفوظة الآن فى المكتبة الاهلية بفينا . وقد كتب عنها الدكتور جروهمان وعلق عليها تعليقا علميا وافيا وذكر ما فيها من شبه بالتصوير القبطى والحبشى

وعلى كل حال فاننا نلاحظ تأثير الفن القبطى فى أن الالوان التى سادت منتجاته قبيل الاسلام لا تزال باقية حتى الآن . وهى الالوان الشعبية كالاحمر الساطع والقرمزى والاصفر مما تتميز به النقوش القبطية فى الكتب وعلى الجدران . وهى الالوان التى نراها تسود حتى اليوم جهاز العرائس بين الشعب ، ولا سيما الصناديق المتعددة الالوان ، والتى تبدأ كل فلاحة بشرائها بين القليل الذى تشتريه لجهازها . وفى الحق إن هذه الالوان تنطلق ببقاء الروح القديم وتشعر بتأثير قبطى بليغ . ولا سيما إذا تذكرنا أنها تختلف عن الالوان التى اعتادها البدوى فى صحرائه أو فى خيمته

ومما أخذه الفن الاسلامى عن الفنون المسيحية عامة ، الهالة أو إكليل النور ، تحيط فى الرسوم والنقوش صور الرسل والقديسين على أن الفن الاسلامى أحاط بها رؤوس الشخصيات الكبيرة فى الصور ، كصورة الامير مثلا ، فى منظر استقبال أو طرب . فهى لا تفيد فى الفن الاسلامى أى تقديس دينى . وتتجلى هذه الفكرة المسيحية فى بيت شعر لابى العتاهية نصه .

« لقد نشر الاله عليك نوراً   وحفك بالملائكة الكرام »

ولن يفوتنا قبل أن نختم كلامنا عن التصوير أن نذكر أن الفن الاسلامى حين قويت دعائمه وارتقت فيه صناعة كتابة المخطوطات وتذهيب الكتب فى القرن الرابع عشر أثر بدوره على نسخ

الأنجيل وتذهيبه ؛ كما يتجلى فى الانجيل المحفوظ بالمتحف القبطى ؛ والذى نرى فى أوله صفحتين مزينتين برسوم هندسية جميلة ونقوش مذهبة ، وقد كتب عليها بالخط الكوفى : « الانجيل الطاهر والمصباح الزاهر ينبوع الحياة وسفينة النجاح »

هذا واننا نظن أن صناعة تجليد المخطوطات بالجلود ذات الزخارف المضغوطة أو البارزة فن مصرى الأصل . وقد نسب الجاحظ الفضل فى تعريف العرب بالمصاحف أو الكتب المجلدة الى الحبش . ونحن نعرف العلاقة بين الحبش والقبط فى الديانة ؛ وكل مايتعلق بالانجيل والفنون المسيحية الشرقية .

وقد كانت زخرفة الجلد واستخدامه فى تغليف المخطوطات صناعة زاهرة فى الفن القبطى . وعنى بها الرهبان فى الاديرة عنايتهم بنسخ الانجيل والكتب الدينية

ونقل المسلمون عن المسيحيين العناية بتجليد القرآن بالجلود الفاخرة على نسق الانجيل والكتب الدينية المسيحية . وكانت صناعة التجليد القبطية النواة التى تطورت منها صناعة التجليد فى الاسلام وازدهرت ؛ حتى بلغت فى العصور الوسطى غاية الجمال والاتقان ؛ وقلدها الغربيون فيما أخذوه عن الفنون الاسلامية

ومما ورثته صناعة التجليد الاسلامية عن الفن القبطى اللسان الذى عرفه المجلدون فى الاديرة القبطية ونقله عنهم المسلمون ثم الغربيون بعد ذلك . كما لايزال ظاهرا فى كتب المصارف المعروفة باسم Pass Books

ومهما يكن من شىء فان جلود بعض المصاحف القديمة المحفوظة فى دار الكتب المصرية تدل على تأثير قبطى . وهناك زخرفة نباتية قبطية الطراز محفورة على احدى هذه الجلود وأخرى صليبية الشكل على جلدة أخرى تذكر بزخارف موجودة على قطعة من النسج القبطى محفوظة فى فينا

ومما يؤسف له أننا لا نستطيع أن نتتبع تماما تطور الفن فى صناعة التجليد حتى أصبحت صناعة إسلامية بحتة فى القرن الرابع عشر ؛ لان اكثر ما وصلنا من جلود الكتب الاسلامية يرجع الى عصر المماليك ؛ بينما لا نكاد نعرف شيئا عن هذه الصناعة فى العصر الفاطمى على الرغم من أن كل شىء يحمل على القول بأنها كانت زاهرة متقدمة

أما صناعة الخزف فى الفن القبطى فلا نظن أنها أثرت فى الفنون الاسلامية أثرا يستحق الذكر لان هذه الصناعة لم تكن زاهرة فى العصر القبطى ، ولاننا لا نعرف نماذج جيدة من الخزف الاسلامى فى مصر قبل قدوم ابن طولون سنة ٨٦٨ ، حين يبـدأ ظهور الخزف ذى البريق المعدنى ، بفضل ما أحدثه الامير المذكور من تقاليد عراقية فى الفنون الاسـلامية المصرية ، ومن الظريف أن كاتباً أراد أن يؤكد ازدهار الخزف فى العصر القبطى : فـكتب « ان مصنوعات هذا العصر امتـازت بخلوها من الدهان المعدنى الذى يجعل لها بريقا ورونقاً خاصـا وانتشرت صناعة الاطباق الفخار والقدور المعدة لحفظ الخمور » كأن كل هذا من المزايا التى تشهد بتقدم صناعة الخزف فى العصر القبطى

وعلى كل حال فان صناعة الفخار الشعبى لم يأتها فى مصر أى تأثير خارجى بل سارت فى طريقها الطبيعى بعد أن زادت على زخارفها أحياناً بعض العبارات بالخط الـكوفى ، فالمسارج وشبابيك القلل وأوانى الفخار فى العصر الاسلامى لا تـكاد تمتاز عن منتجات العصر القبطى فى شىء

على أن فخر الفن الاسلامى فى صناعة الخزف إنمـا كان إنتاج الخزف ذى البريق المعدنى . وفى دار الآثار العربية قطعة من الخزف المـدهون بطبقة من الميناء الرقيقة اللامعة وعليه رسم رأس السيد المسيح يحيط بها إكليل من النور وقطعة أخرى عليها رسم ثلاثة أشخاص منهم أبو طالب عم النبى . والقطعتان من صناعة واحدة فى القرن الحادى عشر وصانعهما قد يكون مسلماً يعمل على إرضاء زبائنه القبط ، أو قبطياً يعمل على إرضاء زبائنه المسلمين . وهناك إناء من الخزف ذى البريق المعـدنى فى مجموعة ديكران كايكيان المعروضة الآن فى متحف فكتوريا وألبرت بلندن . وهو من خزف مدهون بطلاء أبيض وعليه باللون المعدنى الأسمر البراق صورة رجل تتدلى من يده اليمنى مبخرة على شكل مشكاة . وعلى زخرفة هذا الاناء مسحة بيزنطية أو مسيحية . وبينها ، على كل حال ، رسم ورقة نباتية تشبه الصليب وعـلامة الحياة عند قدماء المصريين حتى أن الدكتور لام ظن من هـذا ومن وجود صورة المسيح على القطعة السالفة الذكر أن الصانع سعداً الذى ذاع صيته فى العصر الفاطمى كان من سلالة الأقباط . وفى دار العربية فضلا عن ذلك ، قطعة من خزف إسلامى من عصر المماليك عليها رسم من صلب السيد المسيح

* * *

أما صناعة المعادن فقد مهر فيها المصريون القدماء بدليل ما وصل إلينا من التماثيل والأوانى المصنوعة من البرونز ومن الحلى المصنوعة من المعادن النفيسة . وإن لم يكن الفن القبطى سار بهذه التقاليد الفنية فى طريق التقدم فهو على الأقل قد حافظ على جزء كبير منها . واحترف الأقباط صناعة المعادن وزخرفتها واستخدموا كثيراً من الأدوات المعدنية فى كنائسهم . وظلت هذه الصناعة فى أيديهم أبان القرن الأول من العصر الاسلامى فى مصر ولا يزال أكثر صناع الحلى والمصوغات من الاقباط حتى العصر الحاضر .. ولكن صناعة الأثاث والأدوات البرونزية والنحاسية التى ازدهرت فى الاسلام لم تتأثر بالفن القبطى تأثيراً يذكر .. لأن زخارفها إما من الحروف العربية .. أو من أشكال آدمية .. ورسوم هندسية ونباتية .. مصدرها التقاليد الفنية فى إيران وبلاد الجزيرة وسورية

ولكننا نلاحظ أن المسلمين فى مصر نقلوا عن القبط أشكال كثير من الأدوات المعدنية التى استخدموها كالمسارج وغيرها .. وهناك نوع من الشمعدانات يتكون من قاعدة تقوم على أرجل ثلاثة وعليها عامود يستند عليه قرص نحاسى وكان علماء الآثار مختلفين فى تحديد الغرض الذى استخدم فيه . ولكننا نلاحظ أن الاقباط كان لديهم مثل هذا الشكل وكانت تثبت فوقه المسارج

وقد بلغ فن تكفيت المعادن بالذهب والفضة غايته من الاتقان عند المسلمين فى منتصف القرن الثانى عشر وبرع فى هذه الصناعة فنانون كثيرون فى مدينة الموصل ويميل بعض المؤرخين الى الظن أن كثيرين من بينهم كانوا مسيحيين . وعلى كل حال فان الموضوعات الزخرفية المسيحية أمر مألوف فى منتجاتهم وبعض التحف المعدنية الاسلامية عليها صور رسل أو قديسين أو غير ذلك من الموضوعات المسيحية . ومن هذه التحف شمعدان فى متحف الفنون الزخرفية فى باريس وعليه إسم صانعه داوود بن سلامه الموصلى سنة ٦٤٦ هجريه (أى سنة ١٢٤٨ ميلادية) . ويظن أن مثل هذه التحف كان يصنع ليهديه السلاطين الى الامراء المسيحيين وكبار رجال الكنيسة

* * *

وكذلك صناعة العاج اشتهرت بها مصر فى العصور القديمة ، وفى العصر القبطى .. وبعد الفتح العربى ظل الصناع من القبط أو ممن اعتنقوا الاسلام يحترفونها .. وقلت شيئا فشيئا الزخرفة بالصور الادمية وصور الحيوانات والطيور وأقبل الصناع على استخدام الزخارف الهندسية والنباتية . ولا

تزال للقبط فى صناعة العاج وزخرفته مهارة كبيرة . ولاسيما فى أسيوط وبعض بلدان الوجه القبلى

وقد مهر قدماء المصريين كذلك فى صناعة الزجاج .. ونسج الاقباط على منوالهم .. فاحتفظوا بأكثر ماعرفه أسلافهم من أسرار هذه الصناعة .. ولا شك أن صناعة الزجاج للشعب ظلت فى يدهم بعد الفتح . ولكن ما امتاز به الفن الاسلامى من صناعة الزجاج المموه بالمينا ليست له كبير صلة بالفن القبطى . فضلا عن أن سوريه كان لها جل الفضل فى تطور صناعة الزجاج حتى عصر المماليك

هذا استعراض سريع لحلقات من تاريخ الفن فى مصر . وكان فى استطاعتنا أن نسوق الامثلة وأن نستطرد فى بيان الموضوعات الزخرفية القبطية .. التى انتقلت الى الفنون الاسلامية .. وفى عمل المقارنات التى تقودنا الى إثبات ما نقول .. ولكن المقام لا يتسع لذلك . ولعلنا نستطيع أن نعود الى هذا الموضوع ثانية فنفيه حقه من الدرس والتمحيص

وحسبنا الان ألا ننسى أن رجال الفنون والصناعات على ضفاف النيل فى القرنين الاول والثانى بعد الفتح العربى كان أكثرهم من المصريين الوطنيين . سواء أكانوا من الاقباط أو ممن اعتنقوا الاسلام

زكى محمد حسن

الدكتور برنادو رسول الرحمة

بقلم الاستاذ فتح الله محمد المرصفى

كان الدكتور برنادو (ولد سنة ١٨٤٥ وتوفى سنة ١٩٠٥) فى مقدمة من سجل أسماءهم تاريخ الاصلاح الاجتماعى ، وشاد بذكره ، فى نصرة الطفولة المشردة ، فان ما انشأه من ملاجىء الاطفال ، لا تزال تذكره ، وتحمل اسمه « الدكتور برنادو » وقد أضحت - بحق - تلك المعاهد اليوم ، مضرب المثل العليا بما تؤديه من خير للانسانية ، حيث قامت على أسس مثبتة من العدل والعقل والانسانية ، وتوجت تلك الجهود بثمرة الاخلاص والتضحية ، وانكار الذات فى الخدمة الاجتماعية فى زمن كان الشعب فيه أحوج ما يكون الى رسل الرحمة ، ودعاة العدل وحماة الانسانية

واذا ما ذكرنا الدكتور برنادو ، يحق لنا أن نأتى على لمحة من صفحات تاريخ الاصلاح الاجتماعى ، وعمن يرجع اليهم الفضل الأول من الافراد المصلحين ، رجالا كانوا أو نساء ، ومن هم جديرون بان ندعوهم بحق ، رسل الرحمة والانسانية ، ليس فى ميدان الحياة الاجتماعية فحسب ، بل وفى نواح شتى من نواحى الاصلاح والتهذيب ، وخاصة فى تلك الناحية المهجورة ، حياة الاطفال الهمل وصغار المجرمين

فمنذ مائة سنة او يزيد ، كان الكثيرون من الاطفال فى بلاد الانجليز — كغيرها من امم العالم — يزجون فى السجون بين طغمة الاجرام ، وفوق هذا كان يحكم على الطفل بالاعدام ، اذا ارتكب بعض الجرائم ، تعدها العدالة فى عصر المدنية اليوم بسيطة ، بحيث يكتفى بوضع مثل هذا الطفل تحت المراقبة ، كعلاج له أثره فى حياة الاصلاح والتهذيب ، ومقاومة الجريمة بوجه عام

ولقد بدأ للقوم تدريجاً ، أنهم باغفالهم اصلاح شأن الاطفال الهمل وصغار المجرمين يخلقون منهم مجرمين عتاة ، فما الطفل المتشرد اليوم الا المجرم العتيد ابن الغد

وان اول خطوة موفقة ، فى نواحى اصلاح الاحداث المجرمين ، كانت فى سنة ١٧٥٦ ، حيث تأسست جماعة البحرية وأخص اغراضها : اعداد الطفل للحياة البحرية ، وكان اعظم أثر لهذه الحركة البحرية تخصيص سفينة بحرية لتمرين الاطفال وتعويدهم الاعمال البحرية الجليلة ، ولاتزال هـذه السفينة تشيد بذكرى منشئيها المصلحين العاملين ... وان لنا فى المدرسة البحرية الفاروقية ، التى أنشئت فى عهـد المغفور له الملك الراحل (فؤاد الاول) الامل والرجاء فى ان تـكون هى واختها الانجليزية اكبر برهان فى خدمة الانسانية ، واصلاح شأن الاطفال

وفى سنة ١٧٨٨ تـكونت جماعة البر والاحسان لحماية الاطفال الفقراء وأبناء السبيل ، وصغار المجرمين . وفى مقدمة ما قامت به من جليل الاعمال ان افتتحت فى مدينة رادهل فى سنة ١٨٤٠ ، أول مدرسة اصلاحية للاحداث المتشردين

وفيما بين سنة ١٨١١ وسنة ١٨٠٩ أخـذت اللجان فى دار النيابة توالى عقد جلساتها ، لبحث مشـكلة الجريمة والاحداث ، وانتهت الى أن : سجن الاحـداث فى السجون العمومية أصبح أمراً ليس من العدل والانسانية فى شيء ، وبالرغم من ذلك وحتى سنة ١٨٣٣ ، حكم بالاعدام على طفل فى سن التاسعة ، لسرقة إبنسين ، كما حكم على غلامين فى سن الخامسة عشر بالسجن « سبع سنوات » ، لسرقتهما حـذاء . . ومنـذ ذلك الحـين تنبه الرأى العام ، تباعاً — فاستنـكر القوم معاملة هؤلاء الاطفال بتلك المعاملة القاسية ، التى لاتتفق والرحمة والعدل فى شيء

وفى سنة ١٨٣٤ ، تشكلت لجنة ملـكية انتهت الى أنه من المحتم ، الاخذ بعلاج الاطفال الهمل وصغار المجرمين ، بالوسائل التى تحفـظ الامن ، وتصونه فى انحـاء المملـكة .فخصصت سجن باركورست فى جزيرة وايت لحجز الاطفال حتى سن الثامنة عشر ، ولو أن هؤلاء الغلمان كانوا يرسفون تحت السلاسل والاغـلال الحديدية ، خشية الهرب ، كما كانوا يعملون تحت حراسة رجال الحفظ المسلحين . وتلك حال استرعت نظر القوم ، من دعاة الاصلاح وقادة الرأى العام

وان فى صحف تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى ، مايحـدثنا عن كثير من حوادث المعتقدات القديمة مما صادف الافراد والاجتماعات ، من تذليل المشاق والمتاعب ، فى سبيل انارة الرأى العام ، وتوجيه تلك المعتقدات القديمة ، نحو الاصلاح القومى ، والتهذيب الاجتماعى منذ القرن الثامن عشر .

فتلك الخطوة الاولى قامت بها اليد الحكومية ، من تخصيص سجن بار كهرست للاحداث الهمل وصغار المجرمين على ما كان عليه من نظم قاسية ، أثارت غضب الكاتب الاجتماعى المعروف تشارلس دكنز اذ كان له الفضل العظيم فى ايقاظ احساس الجمهور ، واثارة الرأى العام لهذا الامر الخطير . كما كانت — ولا تزال — المرأة فى طليعة من لبي النداء ، ولها فى ذلك أثر عظيم

وكانت نتيجة ذلك أن سن قانون المدارس الاصلاحية فى سنة ١٨٤٥ ، وبعد صدور قانون سنة ١٨٥٤ ، خصص سجن واسع الارجاء للاحداث المحكوم عليهم فى لندن ، وهو فى شكله كقلعة ذات بوابات عديدة ، تزن الواحدة ثلاثة اطنان ، ومحاطة باسوار سميكة ومنافذ ذات قضبان حديدية ، علاوة على رجال الحفظ ، ونظامه لايقل عن نظام سجن بنتفيل أو ما يسمونه جهنم لندن . وما زال الاعتقاد القديم عالقاً بالاذهان ، عند ذوى الرأى ، والمهيمين على الاصلاح الى سنة ١٨٩٩

ومنذ ذلك الحين أخذ الافراد من الرجال والنساء وفى طليعة هؤلاء اللورد شافتسبورى والآنسة مارى كاربنتر يبذلون جهد المستطاع ، نحو الآلاف العديدة من الاطفال الهمل ، وعلى الاخص فى المناطق الصناعية ، كما كان فى مقدمة المجاهدين جون بوندس الذى توفى سنة ١٨٣٩ حيث كان يجمع حوله فى مصنعه الخاص ، لصنع الاحذية فى مدينة بورتسموت الكثيرين من الاطفال الفقراء ، فى الاماكن المجاورة له ، وكان لمجهوده الفردى أثر ظاهر خلده له التاريخ ، وشاد بذكراه بنو قومه وعشيرته ، كما أن أول مدرسة شيدت فى مدينة أدنبره لامثال هؤلاء الاطفال ، كانت فى سنة ١٨٤٦ ، افتتحها الدكتور جوترى كما افتتح قبلها شاريف واطسون بسنوات قليلة (مدرسة صناعية) فى مدينة دندى ويقولون أن هذا المعهد كان نواة لنظام جميع المدارس الصناعية الاصلاحية فيما بعد

وفى سنة ١٨٤٧ تكونت جماعة اللوردات ، وقد انتهوا الى قرار حاسم يقضى بان زج الاحداث فى السجون العمومية ، أصبح غير حميد ، بل له أثره فى حياة الاطفال الاجرامية كما أكدوا أن الضرورة الملحة ، تدعو الى أن تكون اصلاحيات الاحداث فى مستوى المعاهد الخيرية . وان الحاجة ماسة الى ان تكون نظم تلك المدارس ، وتنشئة الاطفال على أساس دينى ، يحوطهم القائمون بالامر فيهم بما هم فى عوز اليه من الحنو الابوى ، والشفقة والرحمة واحسان المعاملة

وأعقب هذه الحركة المباركة فى سنة ١٨٥١ ، عقد مؤتمر الاصلاحيات والمدارس الصناعية

لأول مرة فى مدينة برمنجهام ما كانت نتيجته، ان تصدى الخيرون لانشاء المدارس الحرة كما انشئت أول مدرسة إصلاحية للبنات فى مدينة برستون. وفى سنة ١٨٦١ – سنة ١٨٦٦ ، تزايد عدد الاطفال الذين توافرت فيهم شروط اللحاق ، فى المدارس الصناعية فصدر فى الوقت عينه قانون اشتمل على ما ادخل من تعديلات جوهرية ، فى نواحى جميع القوانين السابقة ، لحماية الاطفال ، الى أن صدر قانون سنة ١٩٠٨ (قانون ادوارد) ، وما أدخل عليه من تعديل سنة ١٩٣٣ ، شمل جميع نواحى تنظيم حياة الاسرة الاجتماعية ، وحماية الاطفال

وان الشعب الانجليزى ، ليفخر اليوم بما وصل اليه من وسائل الاصلاح ، وطرائق العلاج لاصلاح شأن الاحداث المهمل وصغار المجرمين . والوقاية من الجريمة . فالاطفال يحاكمون فى حجرات خاصة ، وتتشكل محاكم الاحداث من قاض يعاونه سيدة ، تجلس معه فى اثناء المحاكمة ، كما يتبع هيئة المحكمة سيدة أخرى ، تؤدى وظيفة (ضابط قضائى) ومن المقرر أيضا ان رجل البوليس ، الذى يحضر ليؤدى شهادته على الطفل ، يحضر بملابس عادية ، غير رسمية ، كما يتعين أن يتبع ضباط المراقبة لكل محكمة من المحاكم الاحداث فى أنحاء المملكة . وفى مقدمة واجباتهم الاشراف على الحدث الصغير فى منزله ، والسهر على حالته الصحية والخلقية ، واعطائه الفرصة لاستعادة الاحترام نفسه ، كى يندمج عضواً عاملا فى الجماعة وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

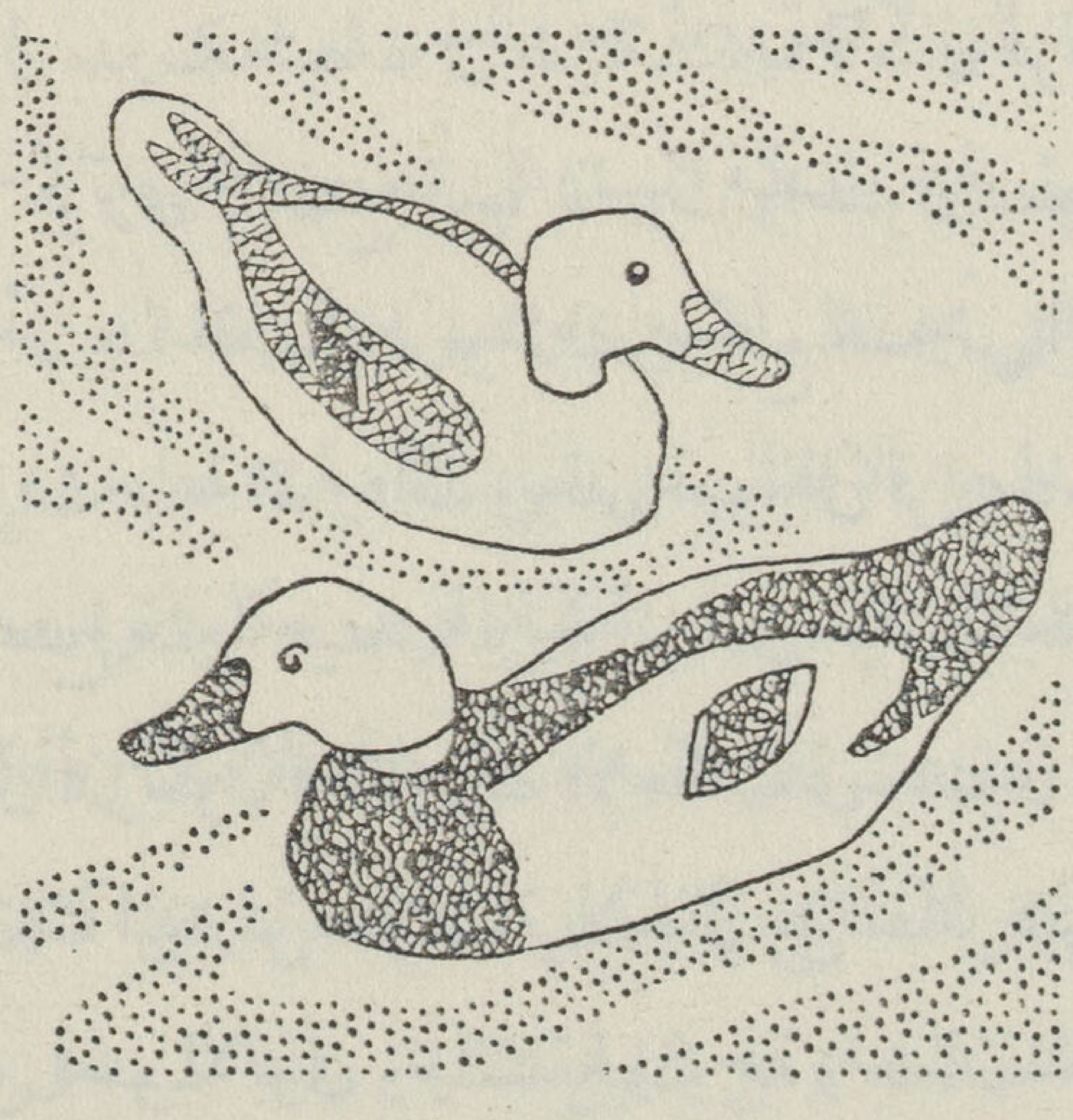

موسيقا الضوء وتلحين الاشعة

استطاع الانسان بتنغيم الاصوات ان يؤلف الموسيقا والالحان . ولكن توماس ويلفريد يؤلف الالحان من اشعة الضوء . وقد اخترع الة مجهزة بمصباح كهربائي قوي . تضغط ازرارها أو

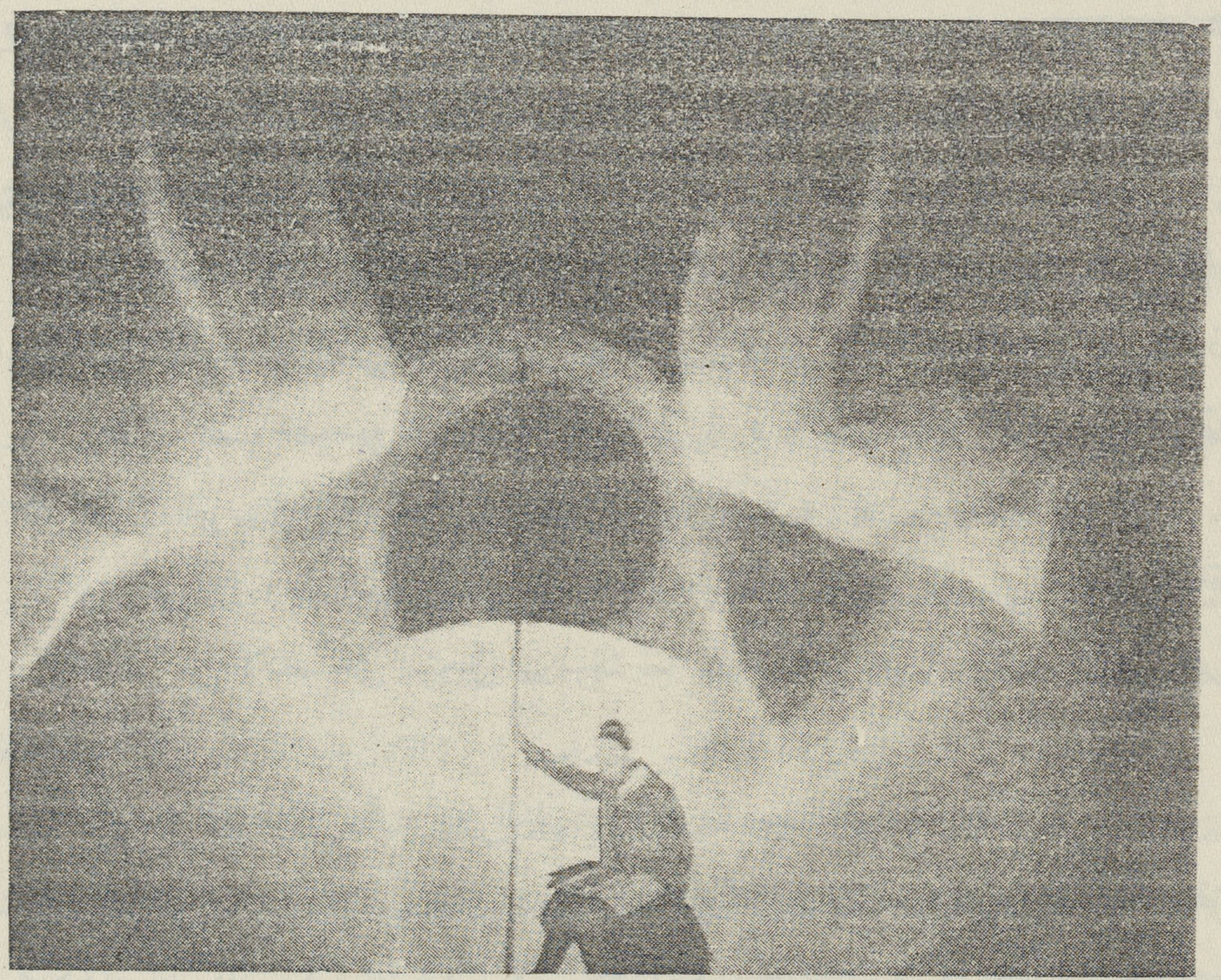

توماس ويلفريد امام نغمة ضوئية

مفاتيحها فتخرج منها الاشعه البيضاء او الملونة وترتسم على ستار . وتتألف من ذلك اشكال مختلفة متوافقة ومتقابلة ترتاح اليها العين كما ترتاح الاذن الالحان الموسيقية . وهو يستخدم الضوء كما يستخدم انحات المرمر او الرسام الاصباغ ويستخرج منه موسيقا متآلفة تستهوي النفس . ومع ان هذا الفن الذي يسميه « لوما » لايزال في بدايته فقد استطاع توماس ويلفريد ان يصل به الى شيء من الاتقان . حتى انه يعقد الاجتماعات من الجمهور لرؤية بعض الحانه التي الفها من الاشعة . وهو ديمركي الاصل وقد احترف الصحافة في باريس ولكنه رحل الى الولايات المتحدة حيث ارصد جهده لاتمام آلته . وليس بعيدا ان تودي جهوده الى اخراج فن جديد او موسيقا جديدة هي الموسيقا الضوئية

الناس لايحبون الحرب

يؤكد بعض الناس ان الحرب لابد منها ويقولون ان الانسان بطبيعته حيوان مخاطر مناضل يميل لسفك الدماء .

وحسب هذا الرأى . تكون غريزة القتال فيه مكبوتة فى الظروف العادية خوفا من القانون وحرصا على الآداب ، ولكن حالما ينزع الوازع الادبى ، تنطلق شهوته الفطرية للقتال من تلقاء ذاتها والحرب نفسها تقدم خير محك لصحة هذه النظرية . فماذا حدث عندما اجازت الهيئة الاجتماعية القتل باعلان الحرب ؟ هل اندفع الناس للتطوع للخدمة العسكرية ؟ كلا . لم يحدث هذا قط .

وبمقتضى آراء رجال الحرب الخبيرين ، يلزم الرجل العادى امرا اكثر من الحرب ، واقوى من التخلص من الاداب حتى يستحيل الى سفاك دماء بارادته ، بل عليه ان يتدرب على هذا الفن مدة طويلة .

وقد ظل اقتناص الرجال لميادين القتال قرونا طويلة معضلة لقواد الحروب

وقد يظن ان الثورة الامريكية التى حاول فيها الامريكان ان يتخلصوا من نير الاستعباد ويفوزوا بحكم ديمقراطى ذاتى ، قد تطوع فيها الامريكان لآخر رجل كلا - بل كان على واشنجتون مهمة عسيرة ليحتفظ تحت امرته بجنود تكفى مقاتلة المأجورين الألمان فكان عليه ان يرشد الجنود ويقدم لهم المكافأة بسخاء كلما حمى وطيس الحرب وكانت المكافأة نحو ٧٥٠ ريالا نقدا و ١٠٠ فدان من الارض ومع ذلك لم يتقدم متطوعون كثيرون . وأصبح الهروب خطرا . واضطر واشنجتون ان يقرر « ان كثيرين من الجنود لم يقنعوا بما قدمنا لهم من هبات ، ولكنهم نسبة لمصالحهم الخاصة وضعة أخلاقهم تجندوا مع ضباط اخرين وقبضوا مكافآت اخرى ثم لاذوا بالفرار »

وفى حرب ١٨١٢ وفيما بعد فى حرب المكسيك قدمت المكافأة بسخاء ومع ذلك لم يكن هناك ندفاع للتجنيد وقدم لكل جندى فى ١٨١٣ ، - علاوة على مرتبه العادى - ٢٤ ريالا نقدا ومرتب

ثلاثة شهور مقدما و ١٦٠ فدانا من الارض . بينما دفع للضباط ٤ ريالا عن كل جندى ومع ذلك كان المتطوعون يتذمرون من الصعاب والاخطار فى الحرب .

وقد جذب نداء لنكولن لصيانة اتحاد الولايات الامريكية فى ١٨٦١ عددا عظيما من المتطوعين ومع ذلك كانت نسبتهم ١ : ٨ من عدد القادرين على حمل السلاح ، وحتى أولئك كانوا يفرون. وليساقوا الى ميدان القتال قدم لبعض مرتب شهر زياده ومكافأة ٢٥ ريالا وأخذ اخرون ٥٠ ريالا نقداوغيرهم ١٠٠ ريال لمن يتطوع ٣ سنوات ولم يكن هذا كافيا فقد كان الفرار مهددا صفوف جيش الشمال وفى يوليو ١٨٦٣ طلب لنكولن ١٠٠ ألف جندى فلبى النداء منهم ١٦ الف فقط .

عندئذ قر الرأى على أن الخدمة الاجبارية وحدها هى التى تتغلب على تردد شباب الامريكان فى الذهاب الى ساحات الوغى . فكانت الدفعة الاولى من المجندين ٣٥٫٧٨٢ رجلا منهم على الاقل ٢٦٠٠٠ كانوا بدلا عن غيرهم ، فمن استطاع أن يستبدل نفسه بغيره فعل ذلك بماله ولم يطلق العنان لغريزة القتال ، ولم يستخدم الفرصة النادرة التى عرضت له لسفك الدماء . بينما لم يؤجر الآخرون انفسهم للخدمة العسكرية حبا فى الحرب بل رغبة فى النفع المادى

وفى ١٩١٧ تعرضت النظرية « بان الناس ستدفعهم غريزة القتال الى الحرب » الى اختبار عظيم فقد انتحلت العلل لاطلاق العنان لذبح الجيوش واستغيث بشبان امريكا ليشتركوا فى الحرب لادفاعا عن الحرية والديمقراطية فقط ولكن صيانة للحضارة نفسها . ولم تقدم قبل ذلك الوقت مثل تلك النداءات الحماسية الى غريزة الانسان الوحشية

ولكن لم يكن هناك اندفاع جنونى كما كان يظن للاندماج فى سلك الجندية وفى مدى شهور قليلة تقدم بضع مئات الوف من بين عشرين مليون شاب صالحين للخدمة العسكرية . ومن بين هؤلاء ٤٠ الفا قدموا انفسهم ليقوموا باعمال اخرى بعيدة عن الخنادق والصفوف الاماميه .

وادرك القواد فى الحال انه لايمكن ان يعتمدوا على المتطوعين فى تلك الحرب فلجأوا الى القانون . وكانوا احكم من ان يستغلوا النظرية القائلة بان الانسان يحب القتل بفطرته .

وفى الحرب القادمة ستكون الخدمة الحربية اجبارية وستعد الهيئات العسكرية قوانين لن يفلت منها أحد إذا اندلعت نيران الحراب .

ويظهر أن الامريكان كانوا من أيام الجمهورية الاولى يتلقون ويخدعون بالدعاية ويرشون حتى يساقوا أخيرا الى الحرب . وحتى عندما كانت الخدمة اجبارية ؛ كافحوا بكل وسيلة ليتخلصوا من الواجب الوطني ـ واجب الحرب والقتال ـ وقد فعل ذلك ٤٠٠ الف امريكى فى ١٩١٧ ـ ١٩١٨ واكثر من ذلك ؛ فان رجال الحروب عامة يعترفون أن مجرد اقتناص الجندى والباسه الملابس العسكرية واعطائه البندقية والذخيرة لا تجعل منه مقاتلا

ولايزال « كاتب المقال » يذكر بوضوح ذلك الضابط الذى ظل يردده الكلمات الآتية فى أثناء التدريب العسكرى « يجب أن تتعلموا أن تمقتوهم . اطعنوهم فى الامعاء . اولئك الالمان القذرين . سيطعنونكم . سيشقون بطونكم . يجب أن تقتلوهم . يجب أن تمقتوهم »

وبعد نحو شهرين سافرت الفرقة الى فرنسا وهناك برز ضابط يوما فى مظهر المحاضر ليثير فينا نار الغضب ضد الالمان وأخذ ينصحنا « كونوا متحمسين . كونوا قساة ـ اذا قيل لكم أن اليوم جميل فقولوا نعم أنه جميل للقتال بكل تأكيد ثم فاضت به الحماسة وقال « تذكروا أيها الجنود انكم يجب أن تقتلوهم فلهذا السبب قد أتيتم الى هنا فلستم فى نزهة . نحن قساة . نحن سفاكون للدماء »

فى ذلك الوقت بدا لى (الكاتب) ان هذا الدرس فى الوحشية حماقة ولكن عند عودتى الى حياة المدنية ؛ وبعد مطالعة دقيقة لكتابات أقطاب العسكريين وجدت أن مثل هذا الدرس يعتبر جزءا ضروريا من التدريب العسكرى . تأمل مثلا ما كتب عن عمل الكولونل كامبل من الجيش البريطانى « كان يأخذ فرقة من شبان ضعاف كالنعاج وبقوة اقناع غريبة ؛ كان ينزع عنهم غشاء الحضارة ويحولهم أخيراً الى حيوانات شرسة ؛ فالعيون تقدح شرراً والاسنان تكشر ؛ والجسوم ترتعش كراهية . وكان يكلمهم بصوت خافت ولكن بسرعة ورصانة ؛ بنغمة الآمر الواثق « هناك مكان الكبد . بوصتان من الصلب لا أكثر ... لا تنس أن تطعن فى المكان الصواب ... انه خادم ألمانى قذر وقد انتهك عرض أختك .. لا تعطه فرصة ... اطعن فى المقتل »

وعلى هذه الكلمات كان الجنود يهجمون على صف من الأكياس المحشوة (لتمثل جنود الأعداء) ويطعنون بقوة جنونية ويزأرون زئيراً عظيما وهم يطعنون .

وبعبارة أخرى قد أدرك رجال الحروب جيدا ان الانسان ليس سفاكا للدماء بطبيعته بل أن

الاغلبية الساحقة من المحاربين يجب أن يتدربوا على القتل ويتعلموا دروس الوحشية ، كما يتعلم الناس فى حياة السلم دروس الطب والهندسة مثلا .

ومهما تكن الاسباب لاشعـــال نار الحروب فهى ليست الرغبة الجامحة للقتل بسبب نقص فى طبيعة البشر ، ولا يعقل أن تثار الحروب لان « الناس يحبون الحرب » فالدليل الملموس يؤيد بكل قوة الرأى القائل « ان الناس لايحبون الحرب »

عن ريدرز دايجست الانجليزية
بقلم كوبر
نقلها الي العربية حزقيال بسطوروس

تقرير المولود : ذكر أم أنثى

يبدو من كتاب جديد نشر فى اللغة الانجليزية ان تقرير المولود قبل تكونه قد أصبح ميسور اى يمكن الابوين ان يجعلاه ذكرا او انثى . ونظرية المؤلف التى يقول انه حققها فوجدها صحيحة انه اذا كان جسم الابوين وقت التعارف الجنسى وجسم الام عقب هـذا التعارف بخمسة او ستة ايام اى مدة تـكون الجنين — قلويين اى غير حمضيين فان الجنين يـكون ذكرا . فاذا كانا حمضيين فان الجنين يـكون انثى .

وحين تقول « الجسم » تعنى الافرازات فقط . ومنهـا افرازات المبيضين والخصيتين . وهذا يعنى أن الدم يكون فى الابوين وخاصة فى الام قلويا . فاذا كانت الام قبل التعارف وبعده بجملة أيام لاتأكل سوى الاطعمة القلوية مثل الخضراوات والفواكه واللبن والجبن فان الجنين يكون ذكرا واذا كانت تأكل الاطعمة الحمضية مثل اللحم والبيض فان الجنين يكون انثى . وبدهى أن المقصود أن يكون معظم الطعام قلويا أو حمضيا

ويقول المؤلف أنه جرب هذه النظرية فى بضع مئات من الامهات فوجدها صحيحة

في الجزرة الصينية

جندى صيني من الجيش المدرب الذى انشأه شيانج كاى شيك . وهو جيش صغير العدد ولذلك لايقوى على مقاومة الامداد اليابانية المتواصلة التى تكتسح الصين اكتساحا

دعوة الى الثورة

للاستاذ رمسيس شحاته

هذه دعوة الى الثورة وهى دعوة صريحة بينه واضحة لاتعرف الالتواء أو الخداع . وهى دعوة حارة ملتهبة ومتأججه فى غير لطف او هوان

هى دعوة إلى ثورة طاحنة لاتعرف الانانية أو التلكؤ انما قصد بها القضاء الاخير فى غير خوف اوشفقه او تردد على كثير من الاشياء ولكنها قد صدرت عن قلب لايدين إلا بحب مصر والاخلاص لها . وصاحب هذه الدعوة يجد أن له من هذا الحب شفيعا وعذرا عما يدعو اليه من عنف وقسوة وقوة .

أما اقتناع صاحب هذه الدعوة بهافلايعرف حدا . انه مقتنع بها كأشد مايكون الاقتناع وضوحا وجلاءا وهو مؤمن بضرورتها كاتم مايكون الايمان تغلغلافى النفوس . وهو يحسب أن هذا الاقتناع وذلك الايمان سوف يدفعانه إلى الاستمرار فى تلك الدعوة إلى أن يبلغ بها مراميها وأهدافها أو إلى أن تبلغ نفسه من الوهن والتلاشى الحد الذى لايقوى معه على الاستمرار فيها او اذكاء نارها . وهو يحسبه شرفا عظيما أن يموت وهو يلهث بذكرها وترديدها .

وهذه الدعوة ليست دعوة إلى الثورة فحسب بل هى دعوة إلى الكفر أيضا . هى دعوة إلى الثورة على تلك النظم البالية العتيقة التى تتبعهاحكوماتنا المتوالية فى تسيير امورنا وتصريف شئوننا . وهى لاترحم أى هذه النظم ولا تهاب أكبرالتقاليد الحكومية تلك السفاسف المصطنعه التى لايقصد بها إلا ذر الرماد فى العيون وإستغلال الجماهير اقبح استغلال .

وهى دعوة إلى الكفر الصريح بمجموع تلك الحقوق المغتصبة التى اغتصبتها فئات الحكوميين بغير حق ومن غير خجل او تورع .

وهى دعوة موجهة أولا للساسة وأصحاب السلطات المختلفة فى البلاد ونحن نوجهها اليهم فى لين وهواده لعل اللين يكسب رعايتهم ولكننا نعد أن نرددها عالية عنيفة إذا احتاج الأمر إلى ذلك وسوف لانتأخر فى الصباح بها بأعلى اصواتنا حتى يفيق اولئك السادة من سباتهم وحتى يعلموا أن الأمة فوق الحكومة .

وهى موجهة بعد ذلك إلى نواب الامه وشيوخها اولئك السادة الذين انتخبهم افراد ذلك الشعب البائس ليدافعوا عن حقوقه المهضومة الضائعة وسوف نرسلها داويه فى آذانهم لنذكرهم بوعودهم السابقة ولننبههم إلى ان الغاية من وجودهم فى البرلمان ليست مجرد الظهور أمام الامم الاخرى بمظهر الدول الدستورية انما العمل على صيانة حقوق البلاد وكرامة البلاد من الضياع . وان يعلموا انهم ليسوا فى البرلمان للمطالبة بزيادة اجورهم واقتناص مايمكن اقتناصه من الميزات الشخصية المادية إنما ليدفعوا عن افراد ذلك الشعب المسكين بعض ماحل به من فقر وعوز وضيق .

ثم هى موجهة الى الشباب . الى الشباب المتعلم المثقف لكى ينادى بها جهارا وبأعلى صوته . وهى موجهة اليه لكى ينصرف بها عما يقدم له يوميا من سبل الاغراء والاغواء ولكن يستغنى بها عن تلك المظاهر الصبيانية التى لاتتفق وثقافته وما هو عليه من تعلق بالحرية وتقديس لحقوق الامة .

ان الدعوة الى الثورة التى نقدمها الى الشباب اجدى من ذلك العبث الذى يسمونه القمصان والذى ابتلانا به حب التقليد الاعمى وهى أنفع للأمة واجدى من ذلك اللهو .

ثم هى موجهة بعد ذلك الى سواد الامة الى الموظفين ثم الى الفلاحين الى الاغنياء منهم والفقراء ونحن نناشدهم جميعاً الاصغاء لها والعمل على نجاحها ففى ذلك حفظ لكياننا وابقاء لحياتنا كأمة وكشعب بل وكأفراد أيضاً .

يجب أن لا نخشى أحدا فى الدعوة الى صيانة حقوق الامة ورعاية واجباتها أو فى المطالبة بالعناية بالغالبية الساحقة فيها ولو تطلب ذلك بعض التضحية من جانب الفئات المتسلطة الحاكمة بل إنا لانحسبه تضحية مايمكن أن تقوم به الهيئة الحاكمة من تنازل عن بعض ما اغتصبه أفرادها من حقوق بل هو رجوع الى الحق وتوبة مقبولة مشكورة وهو على ذلك واجب محتوم .

أيهما أجدى علينا أن نطالب بالحق من تلك الاموال الطائلة التى تصرف بحساب وبغير حساب فى سبيل تمتع أفراد قلائل وتنعمهم المفرط البالغ فيه الى الحد الذى لاتسمح به موارد أمة فقيرة

كأمتنا أم أن نترك سواد هذه الامة تموت جوعا وعريا ومرضاً ..؟

أيهما أجدى علينا أن نطالب بالحد من أجور ذلك الرهط من السياسيين والموظفين الذين يتناولون الاجور الباهظة أيا كانت مراتبهم أو درجاتهم ولو أدى ذلك الى أغضابهم أشد الغضب أم السكوت والاستكانة الى أن يحل قضاء الله فى سواد هذه الامة أو ان تقضى عليه الفاقة والعسر والمرض قضاءها الاخير .؟

انه عبث وجبن وخور أن نخشى غضب الموظفين وان نفضل عليه فناء الامة

وهذه الدعوة ليست دعوة الى الثورة الشيوعية أو ثورة جمهورية أو أى ثورة من هذا القبيل ولكنها دعوة الى ثورة اصلاحية قد كان الاولى أن نسميها دعوة إلى الهدوء والعمل الصامت لولا ما نراه من إمعان فى التذكير بالعمل الاصلاحى والانصراف الى غيره مما لا يجدى ولا ينفع .

ها هى مستشفياتنا تضيق وتطرد مرضاها من الفقراء والمعوزين فى الوقت الذى تصرف فيه الاموال الطائلة على المظاهر وفى سبيل الاهواء الشخصية المحضة .

كم من آلاف الجنيهات بل كم من الملايين قد صرفت والاصح أن نقول قد سرقت لسد مطامع شخصية محضة ؟ ان أحدا لا يستطيع نكران ذلك والا فأين ذهب المال الاحتياطى ولماذا كل تلك المصروفات السرية .؟ ان الاداة الحكومية كانت وهى لا تزال مريضة ومعتلة تحتاج الى اصلاح وتهذيب وقد آن الاوان لذلك .

ان الامة لم تنس بعد ما حل بها فى عهود معينة من أذلال واذى من وراء المطامع الشخصية لاشخاص معينة وهذه الأشياء مازالت ممكنة والواجب أن نقضى عليها بحيث لا يستطيع أحد أيا كانت صبغته السياسية أن يلجأ اليها ثانية

هذه دعوة الى الثورة الاصلاحية . دعوة الى الاصلاح الشامل وقد وضح الآن للجميع أن المنقذ الوحيد مما نحن عليه من فوضى وتأخر هو الاصلاح . هو الاصلاح الشامل الممتد الى جميع نواحى نشاطنا .

وهى دعوة الى الكفر بالجمود والظلم والموت وذلك رجاء توفير أسباب التقدم والنجاح وللأمة وأسعاد سوادها وانقاذه من مخالب الفناء والانحلال .ولا شك أن الكفر بالظلم خير من الايمان به كما أن الكفر بالموت مدعاة الى الحياة والنشاط والعمل .

العلم والعالمية

بقلم الاستاذ نقولا يوسف

يعد العلم من أقوى العوامل التى تساعد على تقرب الشعوب وتعاونها وتفاهمها وربطها بأواصر الاخاء . فهو يعمل صامتاً على تحقيق الوحدة العالمية التى يتخيلها المفكرون ومحبو الانسانية

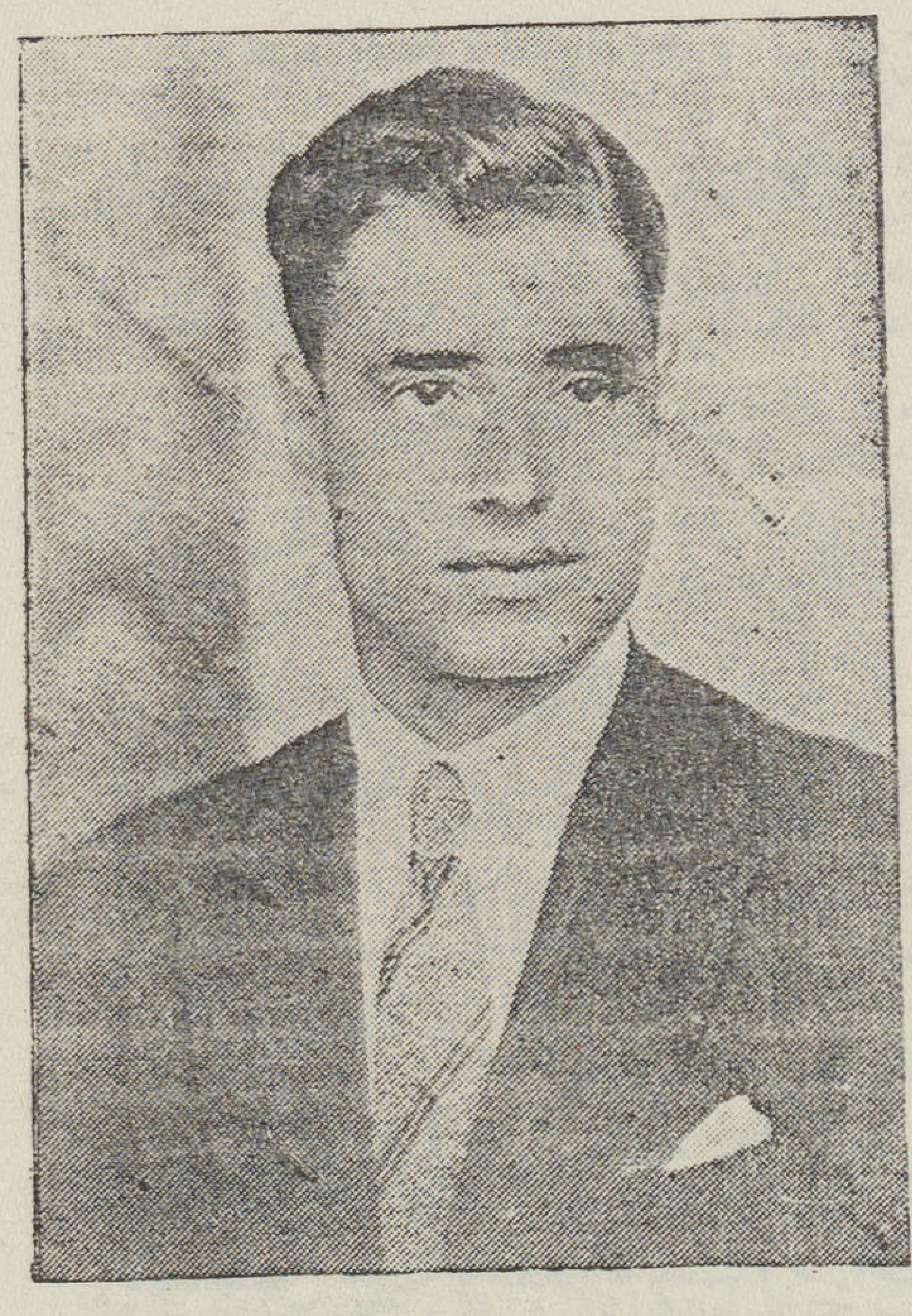

الاستاذ نقولا يوسف

والبشرية فى تطورها وفى سيرها الى الامام انما تتبع ارتقاء العلوم وما تأتى به من مكتشفات ومخترعات تنهض بالصناعة والزراعة والطب والمواصلات وجميع وسائل العمران . ولحسن الحظ ان العلم فى تقدم دائم وفى نمو مستمر شبيه بنمو الجنين تتغير صوره ولكنه يشب ويكبر . والمشاهد فى تاريخ العلوم أنه تاريخ متصل الحلقات ليس فيه ما يدل على التوقف ولا على الرجوع الى الوراء . وقد صارت العلوم اليوم سهلة المنال تستطيع العامة أن تنهل منها كما تنهل الخاصة . وانتشرت اليوم المبادىء العلمية فى كل الارض وكانت من قبل وقفا على المشتغلين بالبحث العلمى وحدهم . وهى تزداد كل يوم انتشارا ويعم النفع المادى من وراء هذا الانتشار ..

يقول عالم اسمه الكونت دى فرنكفيل : «لا وطن للعلم وهو وطن البشر كلهم . وكل اكتشاف علمى وكل اعتقاد انما هو خطوة فى سبيل التقدم تثبت فى كل بلاد مثل أشعة الشمس التى تنير أرجاء العالم مهما اختلفت نحل العلماء ومواطنهم »

وفى مقدمة ما تؤديه العلوم من خدمات للانسانية كلها أنها تعين على تحرير الفكر وانطلاقه من قيود التعصب والرجعية والتشبث الذميم بمبادىء عتيقة وتقاليد محدودة دون بحث أو تمحيص ..

(١) فالعلم يساعد على تخفيف التعصب الجنسى الذى يدفع بالكثير من الشعوب الى الاعتقاد بأفضليتها على سائر أجناس البشر . فدراسة علم الاجناس ترينا أن جميع الناس على اختلاف ألوانهم وأشكالهم ذوو قرابة ونسب . وان الانسانية دوحة ذات فروع متشعبة لكنها تجتمع جميعا فى جذع واحد ومنبت واحد . وان الاختلاط بين مختلف الاجناس حدث فى مختلف العصور وما زال يحدث حتى ليصعب اليوم أن نجد جنسا بشريا يتفرد بخواصه الاولى .. ثم أن نظرية التطور التى غيرت الرأى فى النظر إلى الانسانية بل غيرت علم البيولوجيا وكل فروع العلوم . هذه النظرية التى هى تاريخ الانسان منذ فجر الخليقة تفسر لنا كيف نشأت حياتنا بالارتقاء التدريجى وكيف صعد بنا التطور من مرتبة الحيوان الى ما نحن عليه الآن وسوف يسمو بنا يوماً الى درجات أرقى .. وعلى ضوء مذهب النشوء والارتقاء الذى يضفى عليه العلماء كل يوم نوراً جديداً تمكننا أن نعرف به من نحن وان ترى أن التعصب للجنس وكراهية بعض الاجناس الاخرى واحتقار بعضها للبعض الآخر كل ذلك ادواء قديمة سيستأصل العلم بالتدريج شأفتها ..

(٢) والعلم فى علاقته بالعالمية يخفف من النعرة القومية التى تدفع كل أمة إلى التشبث بقطعة معينة من هذا الكوكب الصغير تحوطها بسياج من الحصون والجيوش والحواجز الجمركية . وفى سبيل هذا التعصب الوطنى الشديد تثور الحروب وتخلق كل ساعة تلك المشاكل الدولية والاضطرابات السياسية التى لا تدع العالم هادئا . فالعلم ليس وقفاً على أمة دون سائر الامم ونتاج العلوم ميراث شائع بين الشعوب . ورجل العلم لا غنى له عن الاعتماد على آراء من سبقه من العلماء سواء أكانوا من مواطنيه أم من مختلف الأوطان حتى ولو كانوا من أعداء وطنه . ولا غنى لرجل العلم عن قراءة شتى المباحث العلمية بلغته وباللغات الاجنبية . وبذلك تزول أمام علماء الارض تلك الحواجز الواهية التى تفصل بين مختلف الامم . وبهذا يصبح العلماء على اختلاف أجناسهم أسرة واحدة يتزعمها العلم ذلك القادر وحده على تخطى الحواجز والعقاب والصعاب ، المقرب بين القلوب ، الذى لا يعترف بأوطان ولا بلغات ولا بأديان ..

ومؤاخاة رجال العلم قائمة منذ قديم الازمان منذ كان حكماء اليونان وعلماؤها يتصلون بعلماء مصر . ومنذ كانت مكتبة الاسكندرية كعبة يؤمها علماء الامم . وفى عصر النهضة الاوربية كانت اللغة اللاتينية لغة العلماء على اختلاف أوطانهم . فسهلت اتصالهم بعضهم بالبعض الآخر . وكان

العلماء يتنقلون من أوطانهم للتزود من علوم الامم المختلفة وبالرغم من سهولة المواصلات فى عصرنا هـذا مما جعل تبادل الآراء ونشر الأنباء العلمية وأخبار المكتشفات ميسوراً سريعاً فانه لاغنى للعلماء عن الاجتماع فى مؤتمرات عامة تعقد من حين لآخر وتجمع علماء الشعوب للمباحثة والمناقشة في المسائل العلمية ، وكذلك لا غنى اليوم لطالب العلم المصرى أو الهندى أو الصينى مثلا عن السفر إلى جامعات أوربا وأمريكا حيث تتضاءل النعرة القومية فى هياكل العلم . .

وفى كل أمة متمدينة عدد من المجامع العلمية ولكنهم يرون اليوم ضرورة انشاء مجمع دولى يضم نواب المجامع العلمية كلها ويكون بمثابة عصبة أمم علمية تعمل يداً واحدة على مافيه خير الانسانية جميعها . . ويقترحون أيضاً انشاء جريدة علمية يومية باحدى اللغات الدولية الواسعة الانتشار كالانجليزية أو الفرنسية لنشر ما يقوم به علماء الامم من مباحث وما يصلون إليه كل يوم من نتائج حتى لايفوت عالم ما اكتشفه غيره .

أما فى ميدان السياسة فان العلم يمثل من وراء الستار دورا خطيراً . فانه يخترع كل يوم آلات ومعدات جديدة للتدمير ووسائل رهيبة تستخدم فى الحروب . ولكنه فى تحسينه وترقيته لتلك الاجهزة الجهنمية انما يزيد من خوف الناس ونفورهم من الحرب ومن الداعين اليها وبذلك يعمل الى السلم . ثم ان العلم الذي يكشف عن الوسائل والآلات التى يسخرها الساسة فى حروبهم يكشف فى الوقت نفسه عن معدات اخرى تقاومها وتبطل عملها . وفوق ذلك فان المعدات الحربية وسائل يساء استعمالها ، اذ ليس من الضرورى استخدامها فى هلاك الناس وتدمير بيوتهم ، فالديناميت مثلا يمكن الانتفاع به فى حفر النفق وقطع الاحجار ونسف الجبال . ولم تخلق الطيارات لالقاء القنابل على المدن الآمنة بل لتكون من أعظم وسائل المواصلات والنقل وربط الامم . وهكذا شأن باقى معدات القتال . فالعلم رسول السلام ولكن قد يساء استعماله مثل كل شىء نافع اذا ما استغلته محبة الشر . .

(٣) والعلم عدو التعصب الدينى الذى يباعد بين القلوب ويوغر صدور الناس حتى بين بنى الوطن الواحد لاسيما فى الامم المتأخرة كما نرى بين طوائف الهند . إذ أن الجهل هو المرتع الخصيب لهذا التعصب ، والعقليات الامية تتميز دائما بالتعصب الأعمى ، بينما العقليات العلمية تعمل على تحرير

الفكر وتعلم الحكم والتمييز والتسامح ، وترينا أن الدين صوفية ذاتية تربط الانسان بربه لا وسيلة للكراهية والتطاحن حتى بين بنى الوطن الواحد !

فالامم التى يعم فيها التعليم وتنتشر بها المبادىء العلمية هى اكثر الامم تسامحا فى العقائد والأديان كما أنها اكثر الامم تقديسا للحرية الفكرية كما نرى اليوم بفرنسا وانجلترا وغيرهما . ثم أن الامم المتمدينة تعمل الآن على التوفيق بين العلم والدين وبها نرى كثيرا من المؤلفات فى هذا الشأن . والعلم دين المستقبل والحقائق العلمية الخاضعة للتجارب والبراهين المقنعة لايختلف الناس فى تأويلها وتفسيرها وهى بذلك لاتشتت شمل الناس .

(٤) وناحية اخرى تعين العلم على تحقيق مبادىء العالمية . تلك هى انسانية العلم . فالعلم يساعد على نشر المخترعات والمكتشفات التى ينتفع بها كل الناس على اختلاف طبقاتهم واجناسهم فكل الامم تستغل اليوم منافع الكهرباء والراديو والطيران وغيرها وتعلم أن ثمار العلم ميراث البشرية كلها والعقل العلمى قد غير علاقة الانسان بالطبيعة فازدادت مقدرة الانسان على استعمال القوى الطبيعية . وكان من سيادة الانسان على الطبيعة أن وفر كثيرا من جهوده وقوته ووقتـه . وزادت بذلك رفاهيته واتسع فراغه وارتقت معارفه

ثم أن تطبيق العلم على الصناعة لاسيما بعد استخدام الكهرباء غير علاقة الانسان بما حوله بل غير نظم المجتمع الانسانى ودفع الاوساط الصناعية الى التنافس فى ابتكار صناعات جديدة تزيد من ترف الناس ومن جمال الحياة اليومية .

وكان من تقدم علم التشريح وعلم الفسيولوجيا وعلم الامراض ماساعد على تقدم الجراحة فى العالم . وكان لاكتشاف العلم لأشعة رونتجن والمخدرات الطبية والراديوم واكتشاف المكروبات وآثارها وتقدم العلوم الكيماوية وغيرها من العلوم أن خف عن كاهل الانسانية عبء الامراض وويلات العاهات والأوبئة . وأخذت الامم تعمل على مكافحة الامراض ونشر الصحة العامة

يقول السير دافيد بروس : « لاشبهة أن العلم لايعرف حدوداً لافى الشعوب ولا فى اللغات ولا فى الاديان بل هو عامل شامل . ونحن كلنا أبناء أب واحد . ومعرفة أسباب الأمراض وطرق منعها لا تنحصر فائدتها فى بلاد واحدة بل تشمل كل البلدان ، تشمل الافريقى الذى تتركه قبيلته لكى يموت

فى غابة بمرض النوم ، والحمال الهندى والصعلوك الصينى اللذين يتجرعان الموت بمرض اله برى كما تشمل سكان مدننا » .

وكان لتقدم علم الجيولوجيا أن عظمت ثروة البشرية ونشط التعدين واستغلت المناجم كما أن علم البيولوجيا عرفنا حقيقة الاحياء وهكذا الامر فى بقية العلوم . واذا تركنا جانبا الفوائد المادية التى يجنى الناس على مختلف أجناسهم ثمارها وهى الفوائد العديدة التى عادت على الانسانية كلها من تقدم العلوم فان هناك جانبا لايستخف به هو فى زيادة ثروة البشر العقلية وفى تلك اللذة المعنوية التى يثيرها الاشتغال بالعلوم .

(٥) والعلم هو الذى عمل على تقريب الابعاد وتقصير المسافات بما كشفه وما برح يكشف عنه من وسائل سريعة للمواصلات كاللاسلكى والطيران والبواخر المريعة والقطر الانسيابية وغيرها وهذه الوسائل تزداد كل يوم تقدما وسرعة واتقانا مما جعل كرتنا الارضية قرية كبرى تطوف حولها الطيارة فى أسبوع واحد وبها أصبحت الحدود الجغرافية التى كانت تفصل بين الامم خطوطا وهمية وبذلك فاز العلم فى امكان تحقيق ذلك الحلم القديم ، حلم الوحدة العالمية وما زال فى طريق الانتصار والمستقبل للعلم وحده

رسم الكلمات العربية

للدكتور بهى الدين بركات باشا وزير المعارف

منذ نحو ثلاثين عاما وكنت إذ ذاك أدرس الحقوق ، قرأت لقاسم بك أمين كلمات أعجبت بها أشد الاعجاب ، وكلمات لم أدرك مغزاها تماما ومن هذا القسم الاخير قوله

« فى اللغات الأجنبية يقرأ الانسان ليفهم ، أما فى اللغة العربية فيجب أن يفهم الانسان ليقرأ » وقفت عند تلك الكلمة مقدراً أنه مبالغ فى طلبه تسهيل القراءة والكتابه ، ولكنى لم أكن أدرك حينذاك انى سأغير رأيى بعد نحو عشرين عاما وسأرجع الى رأى قاسم وأرى من كلمته مبدأ يجب ان يكون أساسا لعمل جديد هام . ذلك أن كنت انى ذلك الوقت متأثراً بالجو المدرسى وما تلقيته وما كنت لا أزال أستذكره من قواعد النحو والصرف ، والمستوى العلمى الذى وصلت اليه فلما أن صار لى أطفال أحرص على تعليمهم وأتعهد تربيتهم ، تفتحت عيناى ورأيت المجهود العنيف الذى يتكبده الطفل لقراءة أى كتابة ترسم أمامه .

شاهدت البون الشاسع بين أطفالنا الذين يتعلمون اللغة العربية والاطفال الذين يتعلمون اللغة التليانية أو الانجليزية أو الفرنسية . رأيت أن الولد الأجنبى يعرف للكلمة الواحدة طريقة واحدة للنطق فهو بمجرد وقوع بصره على كلمة يعرف ماهى ، فهو كأنه يسمعها فيفهم مدلولها كما لو كانت تلقى عليه .

بل أننا قد نجد بعض الكلمات ترسم بطريقتين مختلفين وأحيانا بثلاث طرق أو أربع تبعا لما تحويه من المعنى فكأنهم حرصوا على أن تكون لغة الكتابة أدق فى مدلولها وأقرب فى فهمها من لغة المشافهة مثال ذلك mére بمعنى أم و méres بمعنى أمهات و mer بمعنى بحر و mers بمعنى بحور أو ami بمعنى صديق و amie بمعنى صديقة و amis بمعنى أصدقاء و amies بمعنى صديقات وغير ذلك من الالفاظ التى تكتب على عدة أشكال تبعا لمدلولاتها المختلفة .

ما اللغة العربية فاننا نكبد الطفل مجهوداً فوق طاقته لأننا نضع أمامه طلاسم وألغازا نكلفه حلها

فاذا وجد الطفل أمامه لفظ ع ل م مثلا حار فيما اذا كانت علم أو علم أو علم أو علم أو علم

نشأ عن ذلك أننا لا نجد حتى من بين من تفوقوا في اللغة وفى الاطلاع من لا يخطىء فى ضبط الكلمات ، لان طريق الضبط وعر ، يحتاج الى ابحاث ومجهودات قل من يستطيع التفرغ لها أو الوصول اليها .

كما نتج عن ذلك — وهو الأهم فى نظرى — أن الطفل الاجنبى إذا بدأ القراءة والكتابة كان ذلك مدعاة لتنمية قوة ملاحظته، وتوسيع ملكة الادراك فيه ، وتعليمه كل يوم شيئا جديدا . لأنه يستطيع فى وقت قصير أن يقرأ ؛ فكلما وقع نظره على كتابة سواء كان ذلك فى الطريق أو فى المنزل أوفى الاعلانات أو فى جريدة سيارة ، استطاع أن يدرك معناها وأن يزيد فى معلوماته عن طريقها

أما عندنا فان الطفل لايستطيع ذلك لانه محتاج لشارح يكون بلغ من الخبرة ما يستطيع معه أن يرشده الى طريقة قراءة الكلمة ، وبلغ من البيان مايستطيع أن يفسر معه للطفل لماذا يختار للنطق بالكلمة طريقا دون آخر ، وهكذا من العقبات التى تجعل الطفل عندنا يزهد القراءة لأنها لاتنيره بل الواجب أن يكون مستنيرا ليقرأ

ولذلك أيضا نجد جميع الاشخاص الذين لاتسمح لهم الظروف بالاستمرار فى الدراسة لا يستطيعون أن يتمموا معلوماتهم بالقراءة إلا بمجهود شاق لايتيسر إلا للافذاذ النبغاء . فأما باقى الامة ، وأما باقى الشعب ؛ فينسى بأنه لايستطيع الاستفادة من تعلمه القراءة والكتابه لان ماحوله لايشجعه فيبقى من غير أن تتسع مداركه لما فى ذلك من مجهود لا يطيقه

وهذا بخلاف الفرنسى مثلا فانه يستفيد وتتسع معلوماته حتى عن غير قصد ، دون أن يشعر بالمجهود الذى يبذله لانه يكاد يكون ميكانيكيا وطبيعيا

ولقدكان من نتائج ذلك أن الواحد منا لا يستطيع أن يتعلم اللغة أو أن يضبط ألفاظها الا إذا عرفها عن طريق السماع . أما تعلم القراءة فلا يمكن أن يكتفى الا إذا وجد اللفظ مشكولا . أو اذا عرف جميع قواعد النحو والصرف واستذكرها وطبقها بالاستمرار ؛ وهذا فى حالة الاوزان التى توجد لها قواعد فى الكتب دون جميع الالفاظ غير القياسية التى تكون العمدة فيها على السماع وحده

ولقد اقترح لمعالجة تلك الحال على ما اعلم طريقان : الاول الشكل . وهو طريق غير عملى لانه

متعب فى الكتابة جداً ، ولان الشكل أدق من الحروف المعتادة فهو أيضا متعب للبصر وليس من المستطاع تمييزه بسهولة

أما الطريق الثانى ، فهو الاستعاضة عن الشكل بحروف العلة ، وهو طريق ترد عليه اعتراضات عدة . وليس مقصودى من هذه الكلمة أن أشير بطريقة معينة فذلك شأن الفنيين ، وانما الذى أريد الاشارة اليه والمطالبة به هو وجوب الاخذ فى الاصلاح وهو عبء يقع على عاتق الحكومة المصرية ووزارة المعارف والمجمع اللغوى بصفة خاصة ، وعلى المعلمين بصفة عامة . فعلى الحكومة أن تقرر المبدأ ثم تشكل اللجان وتعتمد المسابقات للوصول الى أحسن الطرق التى يمكن اختيارها لتنفيذه من طريق التطور لا من طريق الثورة . فكتابتنا يجب أن تظل عربية ولكنها يجب أن تتكيف بما يلائم مقتضيات الزمن الحاضر . وليست صعوبة الشكل أو النطق الصحيح هى وحدها التى يقوم عليها الاعتراض فى الكتابة العربية . بل أن الهمزة أيضا وطرق رسمها من المسائل المعقدة التى يبذل تلاميذ المدارس مجهودا شاقا فى فهمها وحفظ قواعدها . ومع ذلك فكثيرا مايقع الخطأ فيها حتى من جهات لاينتظر أن تقع فيه والا فما القول فى أن وزارة المعارف تحتفل بعيد المدرسة الخديوية المئينى وتوزع على طلبتها السابقين استمارات تكتب فيها لفظ «يملؤها» خطأ إذ ترسمها على (ألف) بدل الواو ؟ أليس ذلك دليلا على أننا لم نصل بعد الى هضم قواعد رسم الكلمات لما فيها من تعقيد ومجهود شاق ؟

أو ليس من المعقول أن يتقرر رسم الهمزة حسب شكلها ، فان كانت مكسورة رسمت على ياء أو مضمومة رسمت على واو ، أو مفتوحة رسمت على ألف . وبذلك نحل صعوبتين فى وقت واحد صعوبة الشكل وصعوبة الرسم

بقيت نقطة أخيرة أوجه اليها النظر ، وهى ما قد يظنه البعض من أن ذلك قد لايتفق تماما مع وجهة النظر الدينية لارتباطنا برسم المصحف الشريف . ولكن هذا الاعتراض مردود

أولا — لأن رسم الكلمات فى تطور مستمر . فمن ذلك أن المصاحف والرسائل الموجودة بدار الكتب . والتى يرجع تاريخها الى القرن الاول والثانى من الهجرة تكاد تكون خالية من النقط خلوا تاما فمصحف عثمان من غير نقط أصلا . فتصور صعوبة تلك الآية :

« وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا »

وتصور قراءة هذه الآية من غير نقط أصلا ومن غير وجود همزة أيضاً . وفوق ذلك فان لفظ الباطل والظالمين وخسارا يكتب فى جميعها من غير ألف

وكما نلاحظ ذلك فى مصحف عثمان فاننا نلاحظه أيضا فى الرسائل التى كتبت فى هذا العهد فتخيل لفظ حنين أو جبين أو جنين أو خبين أو جبين أو جبين الى غير ذلك من الالفاظ غير المتشابهة فى لفظها ولا فى معناها . بل من ألفاظ قد لا يكون لها وجود فى اللغة . ثم قدر النعمة الكبرى والفائدة التى لاحد لها التى كسبناها بابتداع النقط حتى صرنا لا نتصور كتابة تخلو منه . فكما خطا أسلافنا تلك الخطوة المباركة . كذلك يجب علينا أن نقتدى بخطواتهم الموفقة حتى تكون القراءة سبيل الفهم والاستنارة

ثانياً — اننا فى يومنا هذا لا نتقيد فى كتابتنا العادية برسم المصحف الشريف . فكثير من الكلمات ترسم بغير الرسم المعروف فى المصحف . اذ ليس فينا اليوم من يكتب الصلاة والزكاة بالواو ولا من يرسم فسواهن أو ادراك أو ألهاكم بالياء . ولا من يزيد الألف قبل الهمزة فى ملئه أو ملئهم (ملائه أو ملائهم) ولا من يضيف ياء بعد نبأ فى كتابة (نبأى المرسلين) ولا من يضيف ألفاً بعد امرؤ فى « ان امرؤا هلك »

فرسم الكلمات يجب أن يتطور ليتفق مع الروح التى تسود العالم اليوم من ضرورة التبسيط والتسهيل . فبذلك وحده نستطيع مجاراة العالم فيما وصل اليه من التقدم ، ونصرف قوانا ومجهوداتنا فيما يجدى من العلوم والفنون التى تقوم عليها المدنية فى العصر الحاضر . بل هذا وحده هو سبيل الديمقراطية حتى لا تكون الاستزادة من المعرفة وقفا على طبقة الاغنياء وحدهم

مسرحية لتوفيق الحكيم

قرأت مسرحيات الاستاذ توفيق الحكيم التى ظهرت أخيرا فى مجلدين انيقين . فأما المسرحية الاولى « سر المنتحرة » فتقع فى أربعة فصول، وأبطالها الذين تخيلهم المؤلف هم طبيب يسمى محمود عزمى يقرب من الخمسين غير أنه محتفظ بنشاطه واعتدال قامته . وعقيلته « اقبال » وهى سيدة فى الخامسة والثلاثين من عمرها ذات ملاحظة وأناقة وثيابها ثمينة من أحدث زى وهى تعنى كثيراً بشأنها . وممرض يدعى سالم . وفتاة تسمى عزيزة فى الثامنة عشر من عمرها جميلة أنيقة .

فاذا ما رفع الستار عن الفصل الأول ظهرت حجرة الطبيب وهى تنم عن نعمة ويسار . ورأينا الدكتور جالساً الى مكتبه منهمكا بكليته فى كتابة محاضرة عن قانون السن والزمن فى الانسان وكان قد حان موعد إلقائها . وقد أمر ممرضه المدعو سالم باغلاق باب العيادة وعدم فتحه لمخلوق حى . وبينما هو كذلك إذ دق جرس الباب فاذا القادم حلاق الدكتور فما كان من سالم إلا أن فتح له وذهب ليخبر سيده بذلك . فنهره الدكتور وقال له « ألم أقل لك ألا تفتح الباب لمخلوق حى؟» وبعد مناقشة بين السيد وخادمه عاد الحلاق من حيث أتى دون أن يحلق للطبيب ذقنه التى مر عليها ثلاثة أيام . وما كاد الحلاق يخرج حتى وقف المصعد امام الباب واذا بسيدة تهم بمغادرته . فلما رأى سالم ذلك بادر فأخبر سيده بعد أن أغلق الباب . فأشار عليه الدكتور بالتزام الصمت والسكون وبعدم فتح الباب مطلقاً . لكن الجرس أخذ يدق باستمرار حتى خشى الممرض انزعاج السكان . كل ذلك والطبيب مشغول بانجاز المحاضرة . إلا أن سالما لم يستطع السكوت ولم يتمالك نفسه فسار نحو الباب وفتحه فاذا بالقادم عقيلة الدكتور السيدة « اقبال » فسألت زوجها عن السر فى اغلاق الباب فأجابها بقوله « نحن أغنياء ولسنا فى حاجة الى المرضى وأنا كما تعلمين طبيب استشارة لا طبيب علاج » فردت عليه قائلة « نعم أغنياء حقيقة . وهذه الثروة الكبيرة هى التى تطمع فيك الناس . ولا تظن شيئا غير ذلك » وانطلقت الزوجة تحدث زوجها عن تلك الفتاة المدعوة عزيزة التى شاع بين الكثيرين

انها تحب الدكتور وانها أقسمت ألا تقترن بأحد سواه . فأكد لها الزوج بأن هذه الاشاعة لا نصيب لها من الصحة على الاطلاق . وانتهى الامر بانصراف السيدة اقبال بعد أن أخذت من قرينها تعهداً كتابياً بألا يتخذ زوجة غيرها .

الاستاذ توفيق الحكيم

واذا حدث أن فعل ذلك لأى سبب من الاسباب فانه يكون ملزماً بدفع مبلغ خمسين الف جنيه فورا . وبعد قليل دوى جرس الباب فذهب سالم الى سيده ينبئه بذلك فأمره بألا يفتح مطلقا . ولكن الدوى اشتد الى أقصى درجة حتى حار الخادم فى الأمر فى حين أن الدكتور ظل مكبا على مكتبه . وسرعان ما سمع صوت زجاج يكسر وينهار على الارض فبادر الخادم بفتح الباب ثم أبلغ سيده نبأ ذلك فى الحال . وكان أن دخلت الفتاة الجميلة عزيزه الى حجرة الطبيب وأخذت مكانها . ولكنها قوبلت مقابلة سيئة مما جعلها تبكى . وبعد مناقشة قصيرة بين الاثنين شربت فنجانا من القهوة التى أحضرها سالم . واذ كانت هذه الفتاة تحب الدكتور الذى لم يكن

يصدق ذلك فقد حاولت عبثاً أن تقنعه بحبها له ولـكنه أبى أن يعتقد أن فتاة فى عمرها تحب كهلا مثله قد قضى زهرة حياته ولم يبق بينه وبين القبر إلا أجل قصير وقد جاء فى حديثه معها قوله « إنى أعلم أن الـكهول ذوى الثراء لهم اليوم رواج فى السوق» فردت عليه قائلة « أية اهانة للانسانية أن تجعل للنقود كل هذه القيمة وان تدخلها فى تقدير هذه الاشياء ، بئس هذا العالم الذى لا تسيطر عليه الا كلمة واحدة — الذهب — » ويستأنفان الحديث معاً فتقول عزيزة للدكتور « لا يمـكن اذن أن أقيم لك الدليل » فيجيبها بقوله « كلا ياسيدتى » فتقول « أى دليل آخر غير النقود » فيرد عليها قائلا « لايوجد غيره برهان فى هـذا الزمان ياسيدتى » وبعد أخذ ورد قال لهـا « برهان واحد لاثانى له قاطع لا أومن بغيره . أتفهمين »

وعندئذ سألته عن هذا البرهان فقال لها « حياتك » وبعد قليـل نهضت عزيزه واتجهت نحو النافذة وفتحتها على مصراعيها . أما الدكتور فظن أنها تريد أن تنظر الى سائق سيارتها الذى كان منتظرا فى الشارع . ثم سألها أن تترك النافذة لئلا تنزلق قدمها الصغيرة . فأجابته بقولهـا أنها لن تترك النافذة حتى تعطيه ما أراد . إلا أن الطبيب كان يعتقد أنها تمزح وكان يستبعد أن تلقى بنفسها وبينما هو واقف بجوار المـكتب اذ دق جرس التلفون وبعـد أن انتهى الطبيب من المحادثة وضع السماعة واشتغل بجمع بعض الاوراق استعدادا للخروج وبينما هو كذلك اذ صاحت عزيزه «محمود» فأجابها بقوله «لاتلفظى اسمى أيتها المخلوق التافه» ثم التفت الى النافذة فلم يجدها فوقعت الاوراق من يده وصرخ جاريا نحو النافذة فسمع أصوات الناس مرتفعة فى هرج ومرج وصيـاح ثم صوت صفير رجال الشرطة وهنا يسدل على الفصل الاول

ويليه الفصل الثانى . وفيه يظهر نفس المنظر الذى رأيناه قبل الا ان الابواب فى هذا الفصل مغلقة، وقد وقف شرطى على كل باب . واذا بوكيل النيابة يفحص عن النافذة التى سقطت منهـا عزيزة ويقيس ارتفاعها عن أرض الحجرة . وقد وقف بجـواره أحد ضباط البوليس . بينما وقف كاتب التحقيق عند المـكتب . وبينما هم كذلك اذ طرق البـاب ودخل شرطى يحمل مظروفا . فاخذه منه الكاتب وفضه فاذا به تقرير الطبيب الشرعى . وقد استمر التحقيق وقتا غير قصير . فسئل الدكتور عزمى كما سئلت عقيلته السيدة اقبال وكذلك والدة الفتاة المنتحرة . وانصرف المحقق

وبقى الدكتور وأم الفتاة معا . وقد شرع الدكتور يواسى الام ويحاول أن يخفف آلامها .
وقد كان هو حزنه الآخر على أشده . وبعد انصراف الام دارت معركة كلامية بين الطبيب وقرينته نتبين منها مقدار جزعه وأسفه على تلك الفتاة التى منحته كما قال حياتها بغير مقابل وينتهى بانتهائها الفصل الثانى .

فاذا انكشف الستار عن الفصل الثالث رأينا منزل الدكتور عزمى . واذا بوالدة عزيزه جالسة فى بهو فخم على أحدث طراز له جملة أبواب يتوسطها باب زجاجى رحب فى صدر المكان مسدلة على زجاجه الشفاف ستائر من الدمقس . ولم تلبث قليلا حتى أتت إقبال ورحبت بها وأخذت مكانها بالقرب منها . وشرعت فى الحديث فشكت معاملة زوجهـا لها . وهنا أحضرت الوصيفة القهوة وتركتها على مائدة صغيرة وانصرفت . ونرى فى هذا الفصل مقدار التغير العظيم الذى طرأ على الدكتور . فبعد أن كان فى الفصل الاول لا يعنى بهندامه ولا بملابسه ولا يسمح للحلاق بالدخول عليه لئلا يعطله عن عمله المهم مع أن ذقنه كان قد مضى عليها ثلاثة أيام دون أن تحلق ومع أن شعره كان قد طال الى درجة لفتت نظر خادمه ، اذا به فى الفصل الثالث يقضى وقتا غير قصير كل يوم فى الحمام . ولا يكتفى بحلاق واحد بل لابد من ثلاثة . حلاق للرأس والذقن وفتاة تتولى تقليم أظافر اليدين وتجميلها وأخرى تتولى أظافر القدمين . ثم أن الدكتور أصبح يعنى كثيرا بتجميل وجهه وصبغ شعره واختيار ملابسه وغير ذلك من مظاهر الاناقة والجمال . واذا بالدكتور لا عمل له فى العيادة إلا مقابلة النساء اللائى كن يتوافدن بكثرة لرؤية ذلك الرجل الذى انتحرت من أجله فتاة من أسرة معروفة . أما الزوجة اقبال فقد أهملت مظاهر التأنق . وقد كانت فى الفصل الاول فى ملبسها ونضارة وجهها كفتاة فى العشرين . أما فى الفصل الثالث فانها بدت كأنها عجوز . وقد علمت إقبال من والدة عزيزة ان سائق سيارتها المدعو محمود حزن أعظم حزن لوفاة عزيزه وانه مضى دون أن يقبض مرتبه . وبعد قليل ترك الدكتور حلاقية وأقبل الى البهو الذى كانت تجلس فيه أم المنتحرة فحياها وجلس بجوارها يتحدث بعض الوقت . ولما انصرفت رجع الدكتور الى حلاقيه بعد حديث قصير مع زوجته . وما كاد ينتهى من الحلاقة حتى استأنفت الزوجة الحديث فأخبرته أن عزيزة لم تنتحر من أجله انما انتحرت من أجل محمود سائق سيارتها الذى حزن عليها

حزنا عميقاً وبكى لوفاتها بكاء مرا ومضى دون أن يفيض مرتبه وقد أقسم ألا يضع قدمه فى سيارتها بعدها . وهو من غير شك شاب جميل . فسألها زوجها عمن أخبرها بذلك فأجابته قائلة « امها الساعة » فاضطرب الدكتور وأبى أن يصدق ذلك النبأ إلا أن الصدمة ظهرت عليه بوضوح وجلاء فجلس مطرقا وأخرج منديله وشرع يجفف العرق الذى أخذ يسيل على جبينه . أما الزوجة فأنها شعرت بأنها انتصرت انتصارا مبينا فطفقت تهزأ به وتسخر منه . وفجأة نهض الزوج واقترب من زوجته متهما اياها بالكذب والزور ثم امسكها من ذراعها فأدمت أظافره جسدها فتألمت وبكت ثم ألقى بها على الأرض فوقعت صارخة . وعندئذ ينتهى الفصل الثالث .

ويأتى بعد ذلك الفصل الرابع وفيه تظهر عيادة الدكتور عزمى التى مرت بنا فى الفصل الاول غير أن الحجرة التى يجلس فيها قد لبست حلة من الأناقة تجعلها أقرب الى حجرة مواعيد غرامية منها الى حجرة طبيب . وفى صدر المكان ترى صورة كبيرة لعزيزة . ولما حضر الدكتور كانت فى انتظاره احدى السيدات إلا أنه رفض مقابلتها وأمر ممرضه بغلق الباب وباعطائه زجاجة الأثير . وماكاد سالم يحضر الزجاجة حتى أمره الطبيب بنزع صورة عزيزة من الحائط . وعندئذ دخلت السيدة إقبال فى ثياب أنيقة وفى رشاقة تذكر بتظهرها فى الفصل الأول وشرعت تتحدث مع زوجها الذى كانت تبدو عليها علامات التعب والعناء ناصحة إياه بمغادرة القاهرة والذهاب إلى إحدى ضيعاته بالريف . ولما انصرفت الزوجة حضر الحلاق فأقبل سالم الى سيده ليخبره بذلك ولكنه ابى أن يقابله وأمر خادمه بغلق الباب . وبعد قليل نهض الدكتور وأخذ صورة عزيزة وألقى بها فى الشارع . ثم ضرب بيده على مكتبه فأقبل سالم فأمره بأحضار الأوراق والاقلام والمحابر ليعود إلى المحاضرات ويرجع إلى أحضان العلم . وهنا ينزل الستار وتنتهى المسرحية

ولاشك عندى فى أن الاستاذ توفيق الحكيم قد وفق فى هذه المسرحية الى حد كبير . فمن جهة الاسلوب فانه سهل رقيق سليم من كل عيب .

ومن ناحية الفكرة فانها بسيطة خالية من التعقيد . إلا أن المؤلف قد جعل الطبيب فى صورة رجل مغفل أبله لا عقل عنده ولاتفكير . وقد بالغ فى ذلك مبالغة ظاهرة . ففى الفصل الاول رأينا الطبيب يهمل ملابسه ويترك شعره يطول مع أن الطبيب دائما يراعى القواعد الصحيحة التى تلزم

الانسان بقص شعر رأسه من حين الى حين .

وفى الفصل الثانى رأينا الطبيب يبذل عناية كبيره فى تجميل نفسه تفوق تلك التى تبذلها احدى السيدات . ثم رأيناه ينسى واجب الزوجية مع أنه عاشر امرأته اكثر من خمسة عشر عاما كما يقول . ثم بعد ذلك يصدق تلك القصة التى اختلقتها زوجته والتى تنحصر فى أن عزيزه انما كانت تحب سائقها المدعو محمود وانها أرادت أن تتزوج بكهل مثله لتستطيع أن تستتر وراءه وتلهو كما تشاء .

وفى الفصل الرابع رجع الطبيب الى عادته الاولى من اهماله نفسه واعتكافه على كتابة المحاضرات بعد أن التقى بصورة عزيزه فى الشارع .

أما عن السيدة إقبال فان المؤلف أعطانا صورة صادقة لاخلاق النساء . فان المرأة اذا صدقت فى كل شىء فانها لايمكن أن تصدق حينما تسأل عن عمرها . وهذا ما كان من شأن اقبال التى كانت فى الخامسة والثلاثين وهناك شىء آخر من شيم النساء وقد نجح المؤلف فى تصويره تصويراً دقيقاً وهو الغيرة . فلا شىء يسوء المرأة اكثر من رؤيتها زوجها وقد التفت حوله النساء من مختلف الطبقات . وشىء آخر من صفات المرأة بل من أشهر أسلحتها التى تستعملها ضد الرجل وهو الكيد . وقد قدم لنا المؤلف صورة لذلك فجعل السيدة اقبال تختلق قصة حب عزيزة لسائقها محمود وتلقيها أمام زوجها وقد نجحت فعلا فى وضع سد منيع بين زوجها وبين النساء بشىء لم يكلفها أى ثمن وأدركت أمنيتها بقصة مختلقة . ولو ان هذ الموضوع وقع بين أسرة جاهلة للجأت الزوجة الى أحد الدجالين ليكتب لها كتابا تنال بواسطته ما تريد .

م . س . الكيلانى

هذا السرطان العجيب

يرى القارىء هنا صورة سرطان يبلغ انبساط مخلبيه ثلاثة أمتار وثلث متر . وتحت المخلبين ثماني ارجل . وقد وقف الى جانبه رجلان للمقارنة .

وهذا السرطان يعيش فى بحار اليابان على عمق يتراوح بين كيلومتر ونصف . ويصيده اليابانيون طمعاً فى لحمه وايضا حتى يستعملوا ظهره لكى يرسموا عليه بالاصباغ المختلفة وجوها يعتقدون انها ترد

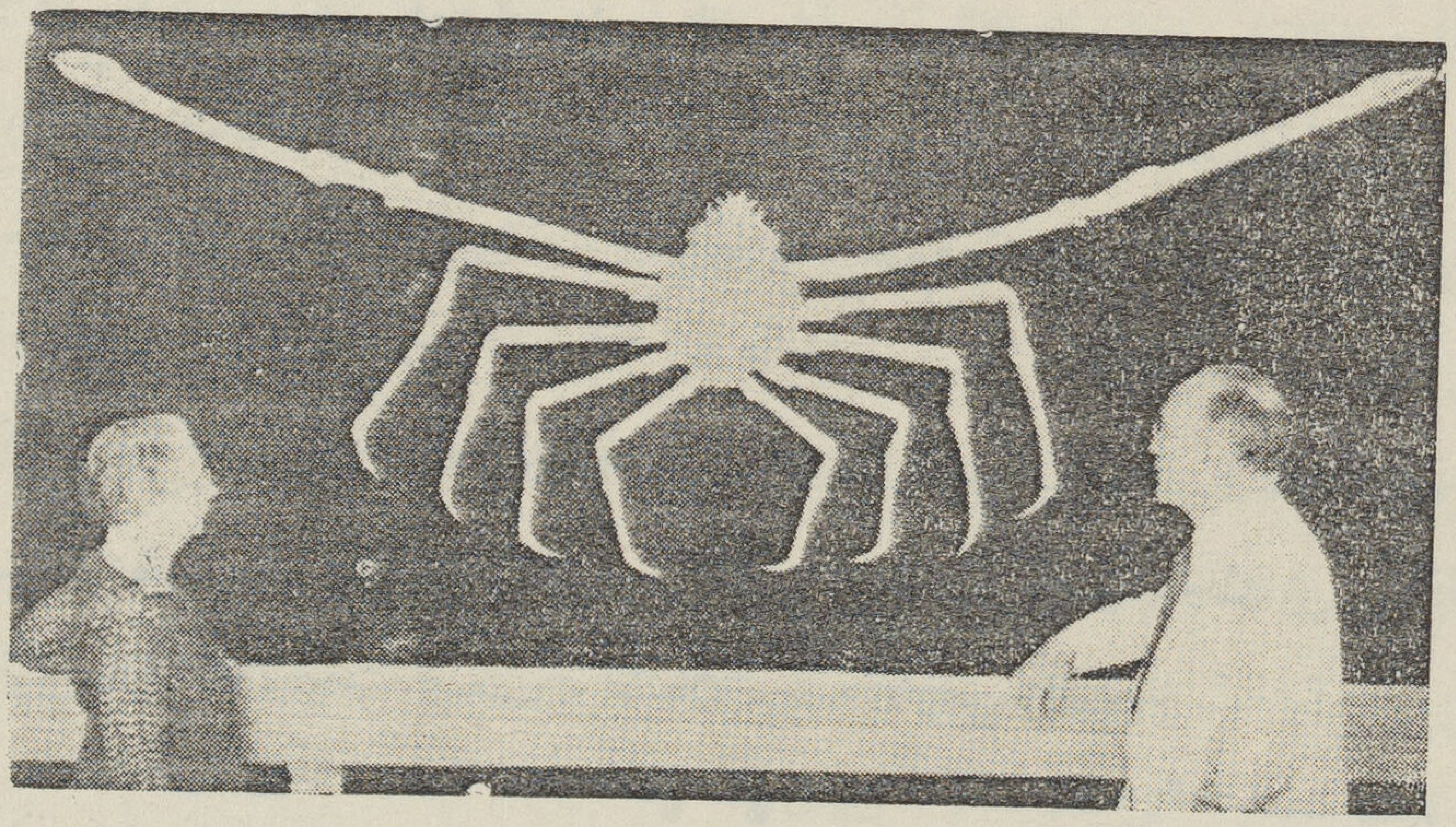

عنهم الارواح الشريرة . وهذا السرطان على الرغم من جرمه العظيم يحاول الاختفاء والفرار من عدوه الكبير الاخطبوط الذى يفترسه . وكذلك الاسماك الكبيرة تفتش عنه وتأكله . وقد حصل متحف التاريخ الطبيعى فى بوفلو بالولايات المتحدة على واحد من هذه السراطين سليم الاعضاء . وهو الوحيد من نوعه فى العالم الذى يمتاز به متحف ما لانه قلما يصاد ويبقى سليما

توماس كارليل...

كناقد – ومؤرخ – وفيلسوف
عرض وتحليل – بقلم اسعد حسني

خليق بكل مستنير، في رأسه عقل يفكر، وفي حنايا اضالعه قلب يحس ويشعر، ان يعلم عن « كارليل » اكثر مما يعلم عن غيره من العباقرة الافذاذ، الذين خدموا الانسانية بمآثرهم الخالدة. فقد كان كارليل، في جميع مراحل حياته، يمهد لهم سبيل المعرفة الحقة ... اذ كان الناقد المتهكم الذي يرشد بأدبه الى طريق الهداية، ويحول القلوب صوب المثال العليا، ويدل العالمين الى مواطن الحق والرشاد.. مستعملا في ذلك شتى الوسائل — فتارة هو يضحك حتى المجون.. واخرى هو جاد، متجهم، حتى البكاء.. واخيراً هو المؤرخ الفيلسوف الذى لايحيد عن الصواب، قيد أنملة، ولوحولوا عليه خرطوماً من جهنم!

كان توماس كارليل ناقداً اجتماعياً، واديباً متهكماً ساخراً ومافيها، ولكنه كان الى جانب ذلك مؤرخا عظيما ينشد الحقائق، ويتوق الى تقرير الواقع، ولو ادى به ذلك الى اوخم العواقب، وكان فوق ذلك كله، شاعراً اتسعت له الاحلام، سعة الارض والسماء!

* * *

ولد « تومس كارليل » في ٤ ديسمبر سنة ١٧٩٥، في احدى قرى « اسكتلندا » من والد (بناء) وأم كريمة الاصل، وبعد أن قضى سنواته الاولى، من بكرة الصبا، في التعليم بمدرسة (الابرشيه) بمدينة (ميدبلى) التحق بجامعة « أدنبرج » بقصد الاندماج في الكنيسة الاسكتلندية حتى اذا بلغ ١٥ — ١٦ من عمره، كان قد درس دراسة غير منتظمة، ولكنها شاملة، وبرغبة تدعو الى الفخر وتبعث على الاعجاب.. والقصص التي تروى عن كثرة قراءته وا كبابه على أستيعاب الكتب عجيبة، ولذا تكاد تكون خرافية!

وفي خلال دراسته الدينية أظهر « كارليل » اشمئزازاً ونفرة تنبىء عن شكه وأرتيابه ولذا نهو

القائل (من لم يشك قط ! لم يؤمن قط .وحيث الشك يتمخض الحق ، ويتمحص الصدق ، أذعقيدة اليقين الراسخة تفصل ما بين الظلمة والنور .. والشك بمثابة تلك السلسلة التى تصل بين العدم والحياة!) وكذلك أبدى عدم الرغبة لأن يكون (قسيساً) أو أن يحشر فى زمرة رجال الدين ! ولهذا فقد قضى مدة قصيرة يقرأ فى (ديزارت) بمقاطعة (فرشير) فعلق بشغاف فؤاده حب الاداب والفنون ، ووقر فى نفسه أن يتخذها كمهنة له يرتزق منها فى الحياة !

وفى سنة ١٨٢٤ ، أظهر ترجمة لهندسة (جندزر) — الذى الحق بها رسالة عن (النسبية) — أذ كانت العلوم الرياضية فى عهد دراسته فى الجامعة مرغوبه الخاص من العلوم !

وقبل ذلك بعام ـ أبان كانت نفسه تتوق أن تظهر وتبرز أمام العالمين .. سطع اسمه تحفه القاب البشرى المحبوبة بقرب تفتح زهرته العبقة . التى سوف يتضوع بالعطر والشذى المنعش أرجها .. تحمل فى طياتها نفحات « كارليل » العبقرية ! وكان ذلك فى مجلة « لندن ماجازين » تحت رسالتين طايتين : « حياة شيلر » « وترجمة ولهم ميستر » لمؤلفهما الشاعر العظيم « جوتيه » !

وفى أنبثاق فجر عام ١٨٢٥ ، قدرت مؤلفاته عن « شيلر » حق قدرها ، وقوبلت بثناء طيب ومديح جميل. وحقا ان الانسان ليجد فى نقده « لشيلر » بعض ملاحظات لايلمع اليها الا كل مخ متقد ، ثاقب النظرات مستنير الاراء !

ففى مكنة الباحث المتعمق أن يستشف عن عبقرية « كارليل » الشىء الكثير ! وهذا بخلاف ترجمته « لولهم ميستر » التى كان حظها أقل من الاخرى مرات عديدة ، والتى قوبلت بفتور ما بعده فتور .. حتى أن « دى كونزى » ـ فى حالة من حالات نفسه العجيبة القارصة تجاهل « جوتيه » و « كارليل » وترجمتها ـ فى حين أن « لورد جيفرى » قد بين فى رسالة له بجريدة « أدنبرج » أن « كارليل » شخص فنان « ذومواهب ! » .

* * *

جدير بنا قبل أن نذكر عزلة « كارليل » الدراسية ، ونلم بفترة أحتجابه ، أن نـذكر طرفا عما سبق ذلك الدور من الحياة ، ففى ذلك الوقت ، وقبله بمدة ليست بالطويلة ، كان كارليل يعمل كمدرس للرياضة بمدرسة (أنان) وبعدها صار رئيسا لمدرسة (كركالدى) ـ وهناك علق بحب فتاة جميلة

تدعى (مرجريت جوردون) وقد لقى من حبها الامرين ، وذاق ضروب العذاب والحرمان ، اذ ذكر شيئا عنها فى مؤلفه العظيم (سارتور رزارتوس) . أو (فلسفة الملابس) . ذلك الكتاب الذى نم عن فضله ، وبرق فى أفق الكتب كالنجم الثاقب !

ومن ثم ، وبعد قليل من ذلك الزمن ، تعرف الى (المس والشن) . . من عائلة خدينه الشاعر البائس (جون كيس) فوهبها كل قلبه وعقد زواجه عليها فى سنة ١٨٢٧ ، فأبصرت الزوجة فى رجلها العبقرى روح الحكمة ، وسر المعرفة ، ولقد أغضب أباه بتركه لحرفة التعليم والتربية - التى تركها غير أسف عليها - وكان للزوجة ضيعة هادئة ، منفردة ، فى « جراكن فوتش » فأنزوى بين جنباتها ليكمل بالقراءة والاستطلاع مواهبه ، وظل الى سنة ١٨٣٤ على هذه الحال يعيش من مال زوجته ، ومن دروس خصوصية يعطيها لبعض الاغنياء ، وترجمة بعض مقالات علمية فلسفية عن الفرنسية وتعلم اللغة الالمانية التى كانت من أهم أسباب ظهوره . وهنا ، وفى هذه العزلة الموحشة التى اختارها لنفسه ، ليزجها فى غياهبها . وخلال هذه المدة الطويلة العميقة . تطور عقل (كارليل) وبدأت تداخله أسئلة الفلسفة العالية ، وخواطر الاداب الحية اليافعة ، وأخذت صور الوجود ، ومناظر الحياة الاجتماعية ، ومشاهد السياسات التاريخية ، تتوارد الى ذهنه فى أشكال تدعو (الموسوعة المخية) الى التوسع والتفتق !

ولا بدع فى ذلك أو غرابة ، فقد كانت هذه الضيعة هى (المكان الاكثر وحدة وانفرادا ، فى بريطانيا الاسكتلندية كلها) ! كما ذكر هو بقلمه فى رسالة له بعثها الى « جيته » قائلا فى وصفها :

- خمسة عشر ميلا فى الشمال الغربى من (دايفر) بين تلال الجرانيت المنخفضة ، وسهولها ومفاوزها المنبسطة .. بالقرب من (جلاروای) !

حيث الرمال الممتدة تتألق تحت قرص الشمس كذرات التبر فى اللمعان !

حيث تجرى فى الجنوب عدة بحيرات صغيرة راكدة المياة آسنة . وهكذا الى بحر ارلندا ، حيث تهب علينا نسماته الواهنة ! ،

* * *

فى هذه القرية الفريدة ، بدأ فى كتابة مجموعته الفاخرة فى النقد والتراجم التى آلفت بين عظماء

الانكليز وجبابرة الفكر الالمانى الحديث . فأظهر تعليقاته على « أساطير الالمان » فى أربعة مجلدات ضخمة !

وبالنسبة الى ما وهبه «كارليل» من مواهب التحليل والقدرة على التصوير النفسى الدقيق ، والاستنباط العلمى العميق ، فقد رسم فى ألوان لا تمحى من اذهان الشعوب البشرية عامة والانكليز خاصة أشباح «شيلر» «وفتش» و«جيته» و«جون بول رتشر» وكثيرمن عظاء الالمان الذين ما كان ليسمع بهم ، أو ليحس أحد بآثارهم ، حتى الى اواخر عصره .. وتدريجيا بدأت المحافل العلمية تتحدث بأسمائهم ، وأخذت المنتديات الادبية ، ودوائر الثقافة والاستنارة تردد مآثرهم ، وتكبر انتاجهم حتى لكأن « كولمبس آلاداب » قد ظهر بينهم ، فاكتشف عالما جديدا من عوالم الرسائل والعرفان المغلقة ، التى كان لها من المجد والعظمة والتأثير ما يضمن لها الحياة ، ويكفل أن يلفت أنظار الكثيرين ويخطفها بالأنوار الساطعة المنبعثة من ثنايا معانيها ، ويجتذبهم اليها .!

ومن هذه المقطوعات الاخاذة الطاية — والتى كتبها فى « كراجن فوتش » ـ تلك التى دبجها عن « بارنز » فى مجلة « ادنبرج » — والتى انفردت بأسلوبها الموسيقى المنغوم من دون مثيلاتها الاخريات .!

لقد كان فيها « كارليل » أحسن مما كان فى غيرها مما تقدم ومما سيأتى بعد ـ حاضر البديهة ، عميق النظرة ، ملتهب الشعور ، متوهج الذهن ، مرح الروح وقاتمها ـ فى آن واحد ـ وليس بمستنكر عليه ولا بمستغرب ـ اجتماع النقيضين لديه ـ وكان يميل الى النقد والتهكم المرير اللاذع ، والقفش النارى الممض ، ويكثر فى كتاباته من المفارقات المتلاحقة المتعاقبه ، والنكات البعيدة الغور التى تستقر فى الاعماق والصميم ، بخلاف زملائه جميعا ـ كتاب اسكتلندا منهم والشعراء ـ وانك لتجد فى كتابه «رجال الفكر الالمانى» اكبر الادلة على ذلك فهو والحق يقال يعد أصقل مرآة تنعكس على صفحة أديمها جماع هذه العبقريات الفذة مجلوة واضحة ، وبه أصاب النجاح الفائق والصيت الذائع ، والشهرة الداوية المجلجلة التى أخذت تقصف كالرعد فى أنحاء العالم ، فدانت له العقول المفكرة واعترفت مقرة بعظمته القوية ، ولكن كتابه المشهور الذى فاق كل ماسبق ، هو ذلك الذى أطلق عليه «فلسفة الملابس» أو ـ كالنص بالحرف Tailor done over ـ «الخياط يرفو» وهى فى الاصل كانت

مقطوعة خرافية ، فى الاساطير القديمة شائعة على الالسنة ! وتلوكها الافواه ، فتنـاولها (كارليل) العبقرى ، بالتدليل والتحوير والزيادة ، وشحنها بروحه الحلوة وخلع عليها أثواب تفـكيره الصافى ، وضمنها لاهم مبادئه الفلسفية وأرائه الذهبية الطلية يتخللها مفارقاته ودعاباته و نقداته وسخافاته (أيضا) وليس فى ذلك ـ غرابة ـ فالانسان مهما تعالى هو ، هو ابن آدم !

جميل من (كارليل) كل هذا ؟ فحقيق على البشرية أن تعقد على مفرق ذكراه الخالدة التى لن يجد النسيان سبيلا اليها ـ تاجا أبديا .. فلقد ود بذلك ـ وكن له ما أراد .. أن يمزج الخرافة الهازلة المضحكة ، بالحقيقة المبكية الصارخة ! وان يصب الهزل الماجن الخليع . فى قالب من الجد المخاص الابلج ، ويستخرج من الحلو المعسول ، والمر المذاب الزاعق ، غذاء «جـديدا» للنفوس والاذهان ما أحلى طعمه من رحيق !

وكان لهذا العمل ـ ككل أعماله السابقة ومجهوداته السالفة ـ «نتائج لايحصر فوائدها بيان . لما حفلت به من المبادىء المستحدثة الفلسفية العميقة ، والنظريات الاجتماعية الحيوية الثاقبة ، والدعابات المرة المستحبة ، والاضاحيك المفرحة المسلية ، التى تلقى لدى القراء نجاحا وقبولا وحظوة ! » كما تقول مجلة «فرانسز ماجازين» سنة (١٨٣٣ — ١٨٣٤) ... ولقد ثبت أن هذا الكتاب يستحق أن يكون تاريخا وحده ، حافلا بالتراجم المحققة الاكيدة خصوصاً ما جاء بينها بصدد «ديرت دفلز» الاستـاذ بجامعة «دنسنستور» والذى يحتوى على شتى الاراء والافـكار ، ومختلف المشاعر والمحسوسات ، وصنوف التأملات الباطنة ، والخواطر النفسية الخـاصة والتجاريب الشخصيـة المريرة التى ألمت به وأثقلت كاهله بمحنها وبلواها وغير ذلك من الحوادث التى تستفز الهمم الخامدة . وتهيج العواطف الراكدة ، وتستلب نواصى الافئدة والمهج ....!!

* * *

وفى ختام عام ١٨٣٧ ، أخرج كتاب «تاريخ الثورة الفرنسية» — وكن وقتها قد انتقـل الى لندن وسكن هناك فى «شيلسى» — ولقد ضمن «كارليل» بهذا الكتاب ، الخلود الأبدى على توالى الاجيال وتعاقب الحقب ، وكتب لنفسـه بانتاجه أياه ، فى صفحة المجد أنصع آيات التجلة والفخار !

وأن الاسلوب والمنحى الذى نحاه المؤرخ فى كتابة فصول هذا المؤلف كان عجيبـا ، وحديثا

فى كل شىء ... أسلوبه النارى ، وبلاغته المتدفقة ، الحافلة بالحماسة والعظمة ، تتخللها عواطف الليونة والحنو ، وبسخرية لاذعة تعيد الى الاذهان ذكريات هذه الاطوار المظلمة الحالكة ، من تاريخ البشرية والايام السود القاتمة المملوءة بالمفاسد والملوثة بالطيش والعسف والعتو ، والمثالب الاستبدادية ، ذلك كله فى ألفاظ داوية ، تردد الى أعماق القلوب ، وقرارات النفوس ، عصارة الاسى والاحزان ... مصورة بريشة ساحرة هى أوثق مصداق للحقيقة التى كن عليها هذا الجيل المتوحش العاثر !

ولقد فكر كارليل فى الانفجار الذى سيحدثه كتابه لوثوقه بأنه (قنبلة) تلقى بجوار « مخزن غاز » وأدرك أن مراجل النفوس سوف تغلى وتثور ، ولكن يقينه الراسخ الذى يحدوه ليخدم الحقيقة والتاريخ ، شحذ عزيمته ، فلم يحفل للتهكمات والنقد وغضب البعض من العظماء ولذا فهو القائل :

« أن لباس الحق قطعة من نار جهنم ، أو شعلة من لهيب الجحيم ! »

وفى سنة ١٨٣٨ ، نسق « كارليل » سلسلة خطابات بليغة عن الادب الالمانى ورجاله و « تواريخ آداب اللغة » ، وهو بحث طريف عن أطوار عصور التهذيب الاوربى المتتابعة ، وفى سنة ١٨٣٩ ، أخرج كتابا ثالثا عن الثورة الاوربية الحديثة وكتابا رابعا عن الابطال وعبادة الابطال فى التاريخ . فتمت بذلك الكتاب غن تلك الحلقة الرائعة من مفاخر الكتب - وذاع صيت الاخير منها ذيوعا لم يكن له من قبل ، أو بعد — نظير ! ، وكانت الطبعة الاولى منه نافقة ، اذ اشتراها الصحفيون دون سواهم ، وفاضت جرائدهم بالحديث عنها طيلة هذه السنة ..!

وفى سنة ١٨٤٣ ، أخرج كتاب الماضى والحاضر وهو لا يقل - ان لم يزد - عن تواليفه التى عود العالم الابداع والتبريز فيها - وقد ضمنه كل ما ود من نقد ، وعن له من تهكم وخواج وأفكار واصفا فيه الحالة الحقيقية للمجتمع الانسانى !

وبعد ذلك بعامين . — أى بعد أن رأى « كارليل » هذه الحفاوة الشائقة التى تقابل بها مؤلفاته وأعماله ومنتجاته ووثق من رواجها ونجاحها ، أخرج للعالم « أولفر كرمويل » خطاباته ، ورسائله — مذيلة بشرح مشبع واف — عن حياة العاهل العظيم وقصة كاملة الفصول ، رائعة الحوادث ! ولقد كان البحث الذى توخاه فى ذلك ، بحثاً علمياً — أطلق الالسنة بالثناء الجم الذى يتعادل والمجهود الذى تجشمه المؤلف فى وضعه ، ولقد أثبت (كارليل) فيه أن فى استطاعته أن يكون محامياً

عظيما ، وأن يخرج من ساحة القضاء منصوراً ، يزين جبينه اكايل نصر وفوز عظيمين ! والواقع الذى لامرية فيه ، أن (لكرمويل) الفضل الاكبر الذى لايفيه وصف ، على التاريخ قاطبة ، ولاتزال لشخصيته على النفوس لهذه اللحظة السلطان الاقوى الفعال . . !

وفى سنى (١٨٥٠ — ١٨٧٠) أخرج (رسالة اليوم الاخير) التى تعد أحفل مؤلفاته كلها ، والذعها تهكما ، وأحفلها ثورة وتبرماً وتمرداً ، وأخصبها آراء وفكراً . . وأن سلاسة أسلوبها لتفوق كل الاساليب السالفة ! ثم تاريخ (جون أسترلنج) وهى ترجمة حياة انسان شديد الافتتان بنفسه ، شديد الكلف والهوى ، بمعرفة طبائع الاذهان القصيرة الاجل فى الحياة . . !

وكان كتاب (فريدريك الثانى امبراطور بروسيا) الذى أسماه (فريدريك الاعظم) هو الكتاب الوحيد الذى استغرق فى وضعه فترة طويلة الامد ، اذ ابتدأ فى وضعه ١٨٥٨ ولم ينته منه الا فى أواخر سنة ١٨٦٥ . . !

وخلال هذه المرحلة الطويلة حرم العالمون من فرائد قلمه الساحر المجيد ، ونفحات عبقريته الفذة ، اذ كانت الامراض قد تناهبته ، وأخذت تدب فى قواه ، فملأت كيانه الحى الجياش بالعاصفة النابض بالمعرفة ، وابتدأت تهصره حتى شف عن جسد ضعيف واه . . !

وفى سنة ١٨٧٣ ، أطلقت عليه جامعة أدنبرج لقب لورد روكتور . . !

* * *

وفى سنة ١٨٨١ ، فى شهر ديسمبر حيث الهواء البارد ، والطقس الزمهرير ، غمغم «كارليل» ذلك العقل الجبار ، أنفاس المنون المتقطعة وأسلم الروح فى هدوء وتسليم ، حيث ارتفعت روحه تحلق فى ملكوت الاحلام متسامية عن آلامها ، وهجع جسمه المتعب ، هجعة الابد ، بعد هذه الحياة المنتجة التى كان وسيكون نصيبها الخلود والبقاء الابدى حتى يوم يبعثون . . !؟

أسعد حسنى

حبل الغسيل

يرى القارىء هنا صورة تبعث على الضحك هي خمسة من الكلاب التي غسلها صاحبها ليتجر بها ثم خشي من تلوثها وهي مبللة فنشرها على حبل الغسيل حتى تجف وقد صنع لكل منها كيسا لكي تجد فيه الراحة وهي معلقة . وتجارة الكلاب من التجارات الرابحة التي تبلغ الثروة المؤثلة فيها ملايين الجنيهات . ومعارض الكلاب نزهة للمتفرجين الذين يتغالون في اثمانها اذ ليس بعيدا أن يباع الكلب بالف جنيه او اكثر . وللكلاب الاوربية عند مربيها المشهورين انساب معروفة كما

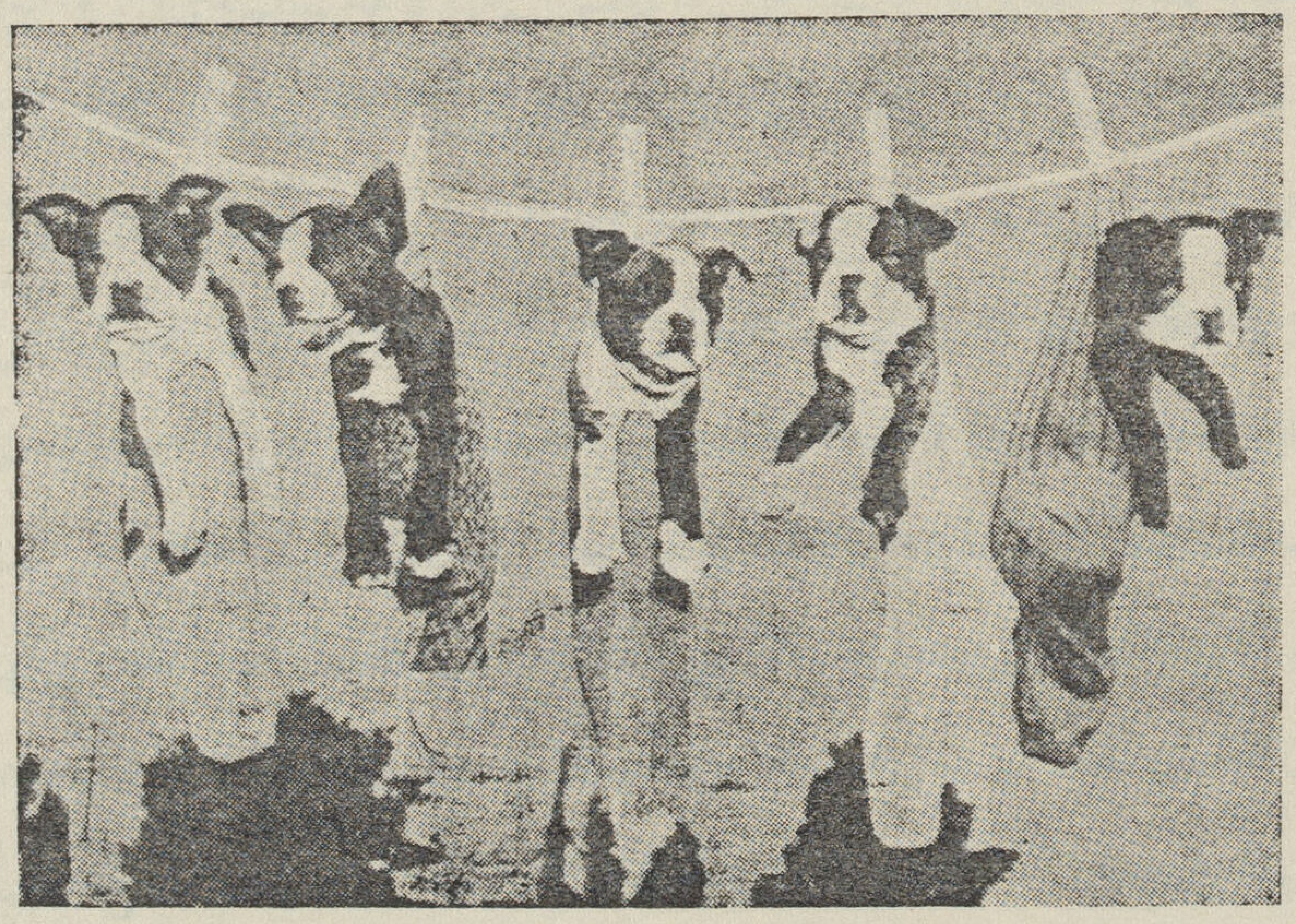

للخيول العتيقة . ومع أن الكلاب في العالم كله ترجع الى نوع أو نوعين من حيث الاصل البعيد فان سلالاتها الحاضرة تعد بالمئات ومنها مايكون وزنه دون الرطل حتى تحمله السيدة في يدها وما يبلغ وزنه ستين أو سبعين رطلا حتى يمكنه ان يجر عربات الاطفال في هولندا . وقد استطاع الانسان ان يعدد التخصص في هذه السلالات . فنشأت كلاب للصيد وأخرى لحراسة الغنم واخرى للقتال . بل منها سلالة تربى كالخنازير لكي تسمن فيأكلها الصينيون ؛

الدينونة فيما بعد الموت والسحر

عن كتاب «فجر الضمير»
للمصرلوجي الامريكي الكبير برستد
وتلخيص الآنسة اريس حبيب المصري

تتبعنا فى الفصول السابقة ذلك التطور الطويل لفكرة الايمان بالمسئولية الادبية فيما بعد الموت وهى فكرة كانت قد نبتت فى الاذهان منذ عهد بناة الاهرام ولو انها لم تكن فى ذلك العهد تنطوى على دينونة عامة للناس أجمعين بل كانت لاتتعدى امكان مثول المتوفى امام كرسى الاله الشمسى المحاكمة اذاقدمت اليه ظلامة من رجل وقعت عليه اساءة من المتوفى . وفى ذلك العهد الاول كان الاعتقاد السائد أنه لايدعى انسان الى أية دينونة اذا لم تقدم ضده شكوى . ولكن بعد عدة مئات من السنين وعلى الاكثر فى عهد الرسالة الموجهة الى مريكرى كان هذا الاعتقادقدتحول واتخذ شكلا أكثر تحديداً واجلى أساساً . فان الملك الشيخ الذى صدرت عنه الرسالة الحكيمة كان متأثراً الى أعمق حد بتلك الحقيقة وهى أنه حتى الملوك مسئولون فيما وراء القبر عن سلوكهم الادبى فى حياتهم على هذه الارض . واننا لنعيد ذكر وصيته العجيبة (ان مجلس القضاة الذين يقضون على غير المستحق : اولئك الذين أنت تعلم أنهم لايتسامحون فى ذلك اليوم الذى يصدرون فيه حكمهم على البائس : ساعة تنفيذ المكتوب .. لاتشبه طول الايام لانهم – أى القضاء – ينظرون الى العمر كله كأنه ساعة . ان المرء يعيش بعد الموت وأعماله توضع الى جانبه كجبال .. لان تلك الحياة التى نحياها هناك هى حياة الابد . واحمق هو ذلك الذى لايبالى بها اما من يصل اليها من غير ان يأثم فانه سيحيا هناك كأنه اله ويتمشى فى زمرة آلهة الابدية الموتى المتبررين . واذا كان انسان يهىء بره فانه يجب عليه أن يفعل ذلك كما تقول الرسالة الى مريكرى – كرجل قضى حياةمستقيمه : كرجل صنع البر – مات – لان هذا هو ماتستريح قلوبهم عليه :

ويقول الفلاح معدوم النصير وهو يستعطف الوزير الكبير ويناشده العدالة « احذر فالابدية تقترب » وقد رأينا أن أمنى سيدبنى حسن وضع فوق مدخل قبره تقريرا عن عدله الاجتماعى مع قومه

كاحسن جوا يستعين به استعدادا لرحلته فى مجاهل العالم الآخر . كما أن منجم المرمر المدعو هاتنوب (او دار الذهب) الواقع فى الصحراء الشرقية وراء العمارنة حافل بالاشارة مرارا وتكرارا الى حياة العدل والخير لسادة تلك الجهة فى العهد الاقطاعى - يذكرون ويكررون فى قبورهم ما يزعمونه لانفسهم من إستقامة الخلق . فيقول أحد موظفى ذلك العهد فى تابوتة . لقد عمل سسنيف البر وكان يمقت الشر ويأبى ان يراه . ومن مراجعة مؤلفات التابوت* يبدو بجلاء أن الشعور بالمسئولية الادبية فيما بعد الموت ازداد عمقا منذ عصر الاهرام . فنجد ان موازين العدالة التى يشير اليها الفلاح الفصيح مرارا وبصورة مؤثرة قد اتخذت الآن حقا مكانها فى قصة التدبير فيما بعد الموت . فيقول احد الاشخاص للمتوفى : « ان ابواب السماء تنفتح امام جمالك . . انت تصعد . . وسيطرد شرك وتمحى ذنوبك على يد اولئك الذين يقيمون الموازين يوم الحساب . » وكما ان الفلاح شبه الوزير « بميزان العدل » فكذلك الميت يستطيع ان يكون له شخصية صادقة لاتحيد كالميزان . ومن ثم نجد فى ملفات التابوت هذه الكلمات « هوذا فلان (اسم المتوفى) هو ميزان رع الذى به يزن الحق (او البر) . »

ومن الواضح ايضا من هم موازين الحق ومن هو القاضى الذى ينصبها . انه الآن كما كان دائما الاله الشمس وهو الذى حوكم امامه اوزوريس نفسه . وهناك صورة اخرى للمحاكمة امام رع تجعل مكان تلك المحاكمة فى الزورق الشمسى .

ولم تعد المطالب الادبية التى يتطلبها القاضى الاكبر مثارا للجدل او للشك . فيقول المتوفى دائما : « انه اى القاضى الاكبر رع يحب البر ويمقت الشر . وفى طرقه المحبوبة للبر يسير الآلهة . » وحين يدخل الميت فى سبل الآلهة فانه يدرك بانه قد ترك وراءه كل ضعف ادبى . فيقول : « لقد ظهرت نفسى فى البركتين العظيمتين اللتين فى هيراكليوبولس . . فالاغتسال الذى كان من الطقوس

---

* ان ملفات التابوت هى أكبر واهم مجموعة من الوثائق البردية التى لم تنشر بعد . والتوابيت التى تحتوى على هذه الملفات يبلغ عددها ١٣٨ تابوتا . ولقد بدىء بترجمة الملفات سنة ١٩٢١ واستغرق العمل عشر سنوات وبلغت سطور الترجمة ٣٠٫٠٠٠ سطر تقع فى ٦٨٢٥ صحيفه .

الدينية المألوفة فى عصر الاهرام تحول فصار الآن رمزا ذا مغزى ادبى . فيقول الميت : « انا ذاهب فى الطريق حيث اغسل رأسى فى بحيرة البر . » ثم يردد مرارا دعواه بان حياته كانت بلاعيب فيقول : لقد كنت احب البر وامقت الشر . اننى اجلس مبررا واقوم مبررا لقد ثبت دعائم البر وطروف الشر .

ولقد رأينا فيما تقدم أن القاضى الذى كان مزمعا أن يدين النفوس هورع . ولكننا لا نلبث أن نرى كذلك أن أوزوريس نفسه قاضياً فنقرأ فى ملفات التابوت عبارة المجلس الاكبر أو محكمة العدل الذى لاوزوريس منذ الاسرة التاسعة أو الاسرة العاشرة من القرن الرابع والعشرين حتى القرن الثانى والعشرين قبل الميلاد فى أيام مريكرى . ولاشك فى أن امتداد شهرة أوزوريس كان له اعمق الاثر فى انتشار تلك العقيدة التى اصبحت عامة والتى مؤداها أن كل نفس يجب عليها أن تؤدى حسابا أدبيا عسيرا فيما بعد الموت . ولهذا أصبح من المألوف فى مبدأ الدولة الوسطى ان يضيفوا الى اسم كل ميت صفة المبرر . وهى التسمية التى ظفر بها أوزوريس فى دعواه الرابحة أمام محكمة الاله الشمس . ولكن هذه الصفة كانت فى بادئ الامر على ما تدل عليه ملفات الاهرام قاصرة على الفراعنة دون غيرهم ولكنها أصبحت بالتدريج ميزة لكل نفس أو على الاقل لكل نفس ذات قيمة أدبية .

كذلك نرى بعد أن ذاع مبدأ أوزوريس وصار مقبولا لدى البلاط الملكى أن الملك اتخذ شخصية أوزوريس المبرر واصبح الكهنة يضيفون قبل اسم كل فرعون متوفى اسم أوزوريس . فملفات الاهرام تذكر اسم الملك بى أوزوريس بى كما أن الملك تثى أصبح أوزوريس تثى . وكانت نتيجة شيوع مذهب أوزوريس أن الحياة بعد الموت التى كانت وقفا على الفراعنة دون غيرهم تحولت فصارت شعبية وصار متاحا لكل رجل ولكل امرأة أن يلبس شخصية أوزوريس حتى لم يعد الميت يدخل الى مملكة أوزوريس لينعم برعايته كما كان المعتقد فى الزمن القديم بل انه كان هو نفسه يصبح أوزوريس ويذكره الاحياء على انه ملك . وحتى عند دفن الفقراء كانت المومياء تهيأ وتلقى على الظهر كمومياء أوزوريس كما كانت الاحجبة والتمائم التى ترمز الى الشعار الملكى تنقش فى داخل التابوت أو توضع الى جانب الجثمان .

وبقيام الامبراطورية المصرية بعد عام ١٦٠٠ ق.م. ازدادت الادلة على هذا التطور الادبى الكبير الذى أشرنا إليه سواء فى عددها أو فى أهميتها وعلى الاخص من ناحية انها كشفت لنا عن نمو الشعور لدى المصريين بالمسئولية الفردية فيما يتعلق بالفضائل والصفات الخلقية. وكانت مرحلة التأمل فى الرقى الادبى قد قطعت شوطا بعيد الغور لان المصرى كان فى ذلك العصر قد تأمل تأملا عميقاً وامعن التفكير فى طبيعته الخاصة. وكان من نتيجة هذا التأمل ان المفكرين المصريين وضعوا على عاتق كل فرد مسئوليته الادبية الخاصة كل بقدر ما أوتى من الفهم. وفيما يتعلق بمذهبهم عن الفهم يجب أن نذكر أنهم لم يكونوا يعبرون عن الفهم الا بتلك الكلمة القديمة التى استعملوها دوما لهذه الغاية وهى القلب واذا عدنا القهقرى الى العصر القديم - عصر الاهرام - وجدنا أن الشيخ الحكيم الوزير بتاهوتب على شىء من المعرفة بالقلب كمركز للمسئولية والقيادة. فنذكر عبارته الذى يقول فيها «ان المصغى الى نصيحة الخير هو رجل يحبه الاله، أما من يكرهه الاله فهو من لا يصغى. والقلب هو الذى يجعل صاحبه يصغى أو لا يصغى. وحسن حظ الانسان هو قلبه» فكان القلب بالنسبة الى بتاهوتب هو مصدر الأرشاد والهام - أو بعبارة أخرى (الضمير) على أنه فى عصر الامبراطورية كان القلب قد تحول الى قوة اسمى بكثير من مجرد كونه الدافع الى الاصغاء لنصيحة الخير بل أسمى من أن يكون مجرد القائد للحظ. ولا شك أن فكرة بتاهوتب عن القلب كمرشد حكيم ظلت راسخة حتى أن رسولا من بلاط الملك الفاتح تحتمس الثالث «فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد» يقول فى وصفه لما قام به من خدمات لمليكه: «ان قلبى هو الذى هدانى الى ادائها وأرشدنى الى اتمامها. فقد كان ... خير شاهد. ولم اهمل نداءه وخشيت ان أخالف وصيته وهديه. فاصبت الخير والفلاح بسبب ما هدانى الى عمله. فقد قال الشعب، هوذا .... صورة من الله فى كل جسم. وسعيد هو ذلك الذى قاده الصوت الالهى فى طريق الخير والنجاح، فهذا ما كنته» ويصلى اقارب باهرى «امير من أمراء الكاب» موجهين إليه الخطاب من بعد مماته قائلين: لتقض ايديتك بفرح القلب فى ظل الاله الذى فيك - كما يعلن رجل آخر: ان قلب المرء هو الهه ولقد رضى قلبى عن اعمالى - والى هذا الصوت الخفى الداخلى الذى دعى بعد نظر موجب للدهشة اله الفرد نجد المصرى يزداد اصغاء واستجابة عما كان فى القديم - اذ قد اكتسب القلب قوة وسلطة اكثر مما كان له أيام بتاهوتب فصار

الحكم الذى يرجع اليه فى السخط والرضى عن مسلك الفرد . وحين وصل المصرى الى هذا الطور من الادراك التام لذلك الصوت الداخلى أضاف الى كلمـــة القلب معنى جديدا أوسع مما كان فى عصر الاهرام . وهو المعنى الذى نفهمه فى عصرنا الحاضر من كلمه «الضمير»

وفى ميسورنا الآن أن نفهم مغزى الدقة والتوسع اللذين صار المصرى اذ ذاك يعـبر بهما عن ارتقاء فكرته فى فجر الامبراطورية عن الدينونة فيما بعد الموت . وهذه الآراء المستفيضة عن الدينونة قد وصلت الينا فى كتاب الموتى . وقد وصلتنـا ثلاث صور مختلفة عن المحاكمة يوم الدينونة لا شك أنها كانت مستقلة الواحدة منها عن الاخرى . وقد جمعت فى أحسن وأكمل الملفات واسم الاولى منها فصل عن الدخول الى قاعة الحق «أو البر»* وتتضمن ما ينبغى أن يقال عند الوصول الى قاعـة الحق حـــين يتطهر فلان اسم المتوفى من كل اثم أتاه وهو (ينظر الى وجه الاله) وهو سلام لك ايها الاله العظيم رب الحق . لقد جئت اليك ياسيدى واقتدت الى هنا لكى ارى جمالك . انني اعرف اسمك ؛ واعرف اسماء الاثنين والاربعين الها الذين معك فى قاعة الحق ؛ الذين يقتاتون على فعلة الشر ويشربون دماءهم فى ذلك اليوم — يوم ان توزن الشخصية امام ونوفر (اوزوريس) . هوذا قد جئتك واتيت اليك بالبر وطردت لاجلك الاثم . لم اقترف ذنبا على احد .. لم اصنع الشر بدلا من الحق ؛ ولم اعرف الخطأ . لم اصنع شرا .. لم اعمل مايمقته الاله . لم ابلغ شرا عن خادم لسيده . لم ادع انسانا يجوع . لم اتسبب فى بـكاء انسان . لم اقتل ولم احرض على القتل . لم اسبب شقاء لانسان . لم انقص الطعام فى الهيا كل ولم انقص التقدمات للآلهة لم اغتصب التقدمات والهـدايا للموتى . لم ازن . لم اقترف عملا مدنسا فى المـكان الطاهر الذى لاله مدينتى . لم انقص مكاييل الحبوب . لم اقصر الاطوال ولم اقلل قياس الارض . لم اثقل كفة الميزان ولم اجعله يحيد . لم آخذ اللبن من فم الرضيع . لم اطرد الماشية من مراعيها . لم اصطد طيور الآلهة . لم اتصيد السمك من الـبرك الالهيـة . لم امنع جريان المـاء فى مواعيدة ولم اوقف سيرها —١— لم اطفىء نارا فى

* نكتب كلمة الحق مزدوجة ومعناها حرفيا الختان وهذا الاستعمال الغريب ليس سوى صيغة مبالغة

١ — يشير هنا الى تحويل مياه الرى وحرمان جيرانه عن الانتفاع بهـا كما هو الحاصل الى وقتنا هذا .

وقتها . (٢) لم المواشى الموقفة على الهيكل . لم اتدخل فيما يخص الاله من النقود . »

ثم ننتقل بعد ذلك الى الفصل الثانى من فصول المحاكمة . فاوزوريس القاضى يعاونه اثنان واربعون الها يجلسون معه لكى يدينوا الموتى . وهم شياطين مخيفة مرعبة : لكل منهم اسم مزعج رهيب يدعى الميت انه يعرفه . وهو لذلك يوجه الحديث اليهم الواحد تلو لآخر ويخاطب كلا باسمه . ومن هذه الاسماء : « ذو الخطوة الواسعة الذى خرج من هليوبوليس » ؛ « حاضن النار الذى خرج من تروجا » « آكل الظل الذى خرج من المغارة » ؛ « مكسر العظام الذى خرج من هيراكليوبوليس » ؛ « آكل الدم الذى خرج من مكان الاعدام » . هذه وغيرها من الاسماء الرهيبة التى ابتدعتها مخيلة الكهنة يستعين بها الميت فينادى كل اله باسمه وفى دوره معلنا براءته من خطية معينة من خطاياه .

ومن الواضح ان الآلهة الاثنين والاربعين لا يعدون ان يكونوا من مبتكرات الخيال . ولقد اشرنا فيما سبق الى انهم يمثلون المراكز الادارية التى كانت مصر مقسمة اليها فى ذلك العصر السحيق وهى تربى على الاقل من بلده . فهو يعرفه تماما ويعرف سمعته فلا سبيل للميت الى مخادعته .

وهذه الاحاديث او التصريحات التى يوجهها الميت الى معاونى اوزوريس بينها الكثير من التشابه والتكرار فان الكهنة وجدوا الشىء الكثير من الصعوبة لكى يضعوا جدولا يتضمن اثنين واربعين خطية . على انه يمكن تقسيم الجرائم على الوجه الآتى : فالجرائم التى يصح ان نسميها جرائم العنف هى : « لم أقتل انسانا . لم أسرق . لم انهب . لم اسلب احدا ممتلكاته فان ثروتى وان تكن واسعة فقد كانت ملكا لى . لم انهب طعاما . لم اثر الخوف . لم اوقد نار الفتنة . » كذلك ينكر الميت الخداع وغيره من الصفات المرذولة فيقول . « لم انطق بالكذب . لم اضع النفاق مكان الحق . لم اصم اذنى عن كلمات الحق . لم انقص مكيال الحبوب . لم اكن بخيلا . لم يعرف قلبى الحسد . لم يكن قلبى متسرعا . لم اطل الحديث . لم اكن عالى الصوت . لم يهزأ فمى . لم احتد . لم اعير احدا . لم استرق السمع (لما ليس من حقى) . لم امتلىء غرورا » ثم يؤكد طهارته الجسمية كما ينكر انتهاكه حرمة المراسيم الدينية ـ هذه الانكارات . وغيرها مما لا يزال غامضا لنا تؤلف هذا الاستعلان للبراءة

٢ ـ لا يعرف احد للآن ماذا يقصد بتلك الكلمة

وهذا الجزء من كتاب الموتى يوصف عادة بانه « اعتراف » . على انه من الصعب ان يوجد شيء ابعد عن الحقيقة من هذه التسمية . اذ ان تصريحات الميت ليست اعترافا بالذنوب بل هى بالعكس تبرؤ منها فهى اذن عكس الاعتراف تماما مما حمل بعض العلماء على ان يسموها « الاعتراف السلبى » مع ان مثل هذه التسمية لاتعبر عن معنى ما . فالمصرى لا « يعترف » حين يقف امام قضاته . وهذه الحقيقة على اعظم جانب من الاهمية فيما يتعلق بالتطور الدينى فى مصر لما سيتضح لنا فيما بعد . فاذا عددنا هذه التصريحات اعترافات تعذر علينا فهم التطور الذى دفع المصرى القديم ببطء وتدرج صوب الاعتراف الحق بذنوبه والتواضع الصحيح الذى لا يمكن تلمسه على الاطلاق فى كتاب الموتى .

واذ يبرر الميت نفسه امام المحاكمة العليا وفى حضرة كل قضاته يخاطبهم بملء الثقة قائلا : « سلام لكم ايها الآلهة ! انا اعرفكم ، واعرف اسماءكم . انني لا اسقط امام سهامكم . لاتبلغوا شرا عنى امام الاله الذى تتبعونه . وقضيتى لاتثبت امامكم . تكلموا بالحق عنى امام السيد الاعظم ، لاننى عملت الحق (او البر) فى ارض مصر . لم اعير الاله . ولم تقدم عنى شكوى الى الملك الحاكم اذ ذاك . سلام لكم ايها الآلهة الجالسون فى قاعة الحق انتم يامن لا يوجد فى أجسامكم شر ولا اثم يامن تعيشون فى الحق فى هليوبوليس . . . امام هورس الساكن فى دائرة الشمس . . هوذا قد اتيت اليكم بغير اثم وبغير شر وبغير خطأ . . اننى اعيش على البر واقتات على البر الذى فى قلبى . لقد عملت ماتناقله الناس وما يرضى الآلهة . فارضيت الاله بما يبغى . اطعمت الجائع وسقيت العطشان وكسوت العريان وهيأت زورقا لمن لا مركب له . قدمت تقدمات الهية للآلهة واطعمة وهدايا للموتى . خلصونى . احمونى . لاتقدموا شكوى ضدى امام الاله الاكبر . لاننى نقى الفم طاهر اليدين — كنت رجلا من اولئك الذين يقابلهم كل من رآهم من الناس بكلمات الترحاب . »

وبهذه الكلمات المؤيدة لقيمته الادبية يتحول الميت الى التوكيد بانه راعى كل المراسيم المطلوبة منه طبقا لعقيدة اوزوريس — وهى تستغرق اكثر من نصف ندائه الى آلهة المحكمة .

اما الصورة الثالثة للدينونة فقد كانت من غير شك أعمقها تأثيرا على أذهان المصريين — لانها

كما هى الحال بالنسبة لقصة اوزوريس فى ابيدوس ـ تعبير بالصور وفيها نتمثل الدينونة حاصلة بالموازين . ففى الملف المزين بالصور الثمينة الخاص بآنى نرى اوزوريس جالسا على عرشه فى أحد أطراف قاعة المحكمة وقد وقفت ايزيس ونفتيس ورائه . وعلى جانب القاعة يجلس تسعة آلهة هم آلهة هليوبوليس وعلى رأسهم الاله الشمس . وهم أنفسهم الذين يعلنون الحكم فى النهاية ـ وهذا دليل آخر على أن عبادة الاله الشمس سبقت كل ماعداها فى مصر وفى وسط القاعة اقيم « الميزان ـ ميزان رع الذى يزن به الحق » والاله الموكول اليه امر الميزان هو انوبيس « الاله القديم للموتى » ويقف وراءه توت كاتب الالهة الذى يرقب الوزن ممسكا بالقلم والملف لكى يدون النتيجة . ويربض خلفه وحش مخيف يدعى « المفترس » له رأس تمساح ورجلاه الاماميتان قائمتا أسد ، أما الخلفيتان فرجلا فرس البحر . ويقف وراء الميزان شخص « القدر » الى جانب (رننت) و (مسكنت) الهتى الولادة تتأملان مصير الروح التى ولدت فى العالم تحت رعايتهما . وخلف الالهة على عروشهم يجلس (الحكم) و (الذكاء) ـ وهما من الالهة أيضا . وفى بعض الملفات الاخرى تقف فى المدخل (الحق ابنة رع) التى تمسك بالداخل وتقوده الى القاعة . فيدخل آنى وزوجه برؤوس مطاطئة واشارات الاستعطاف الى القاعة الرهيبة ـ وعندها يطالب انوبيس بقلب آنى . والصورة الهيروغليفية التى تمثل القلب تشبه (زهرية) وهى التى نراها فى احدى كفتى الميزان بينما نرى فى الكفة الاخرى ريشة هى الرمز للبر والعدل والحق (ماآت) . وفى تلك الساعة الرهيبة يناجى آنى قلبه : ياقلبى ، يامن جئتنى من أمى ، «ياقلبى الخاص بشخصى ! لاتقف مقابلى شاهدا ولا تعارضنى فى قاعة العدل . لاتكن خصما لى امام سيد الميزان . . لاتجعل اسمى كريه الرائحة فى المحكمة ، لاتقل عنى كلمة كذب فى حضرة الاله . »

ومن الظاهر ان استعطافه هذا كان له الاثر المطلوب لأن توت « مبعوث التسعة العظماء الجالسين فى حضرة اوزوريس » يقول فى الحال : « اسمعوا كلمة فى الحق . لقد وزنت قلب اوزوريس آنى ان روحه تقف شاهدة عليه وشخصيته بارة كما هو ثابت من الميزان العظيم . ولم يوجد به من شر » وعندها يجيب التسعة . « ما أحلى هذا الذى يصدر من فمك العادل . ان اوزوريس آنى المبرر يشهد فليس من شر اتاه ولا من ذنب اقترفه معنا . ولن يعطى « المفترس » سلطانا عليه . وليعط الخبز

الذى يؤتى به امام اوزوريس والممتلكات الواقعة فى حقل التقدمات كاتباع هورس .»

وبعد أن يصدر هذا الحكم المفرح لآنى يقوده (هورس ابن ايزيس) ويقدمه الى اوزوريس وهو يقول : « اتقدم اليك ياونوفر (اوزوريس) واحضر اليك اوزوريس آنى . ان قلبه البار قد خرج من الميزان وليس به خطية فى حق الهة. ولقد بعث توت فى امره كتابة ، وتكلم الآلهة التسعة عنه بالعدول. مر أن يعطى له الخبز والجعة التى يؤتى بهما امام اوزوريس ونوفر كاتباع هورس» ثم يقول آنى وهو لايزال ممسكا بيد هورس : « هوذا انا امامك ياسيد الغرب . ولا يوجد فى جسمى شر . لم اقل الكذب عمدا . اسمح لى أن اكون كاحبابك الذين هم ملتفون حولك.» وعندها يركع امام الاله العظيم وهو يقدم مائدة التقدمات - ويقبل فى مملكة اوزوريس .

وهذه الصور الثلاث للمحاكمة برغم ما ادخله كهنة ذلك الزمان من تزويق سقيم لاتزال لها روعتها لدى المتأملين حتى فى عصرنا هذا لأنهم يدركون أن هذه الملفات التى انقضى عليها ٣٥٠٠ سنة هى صورة رائعة وتعبير دقيق لنفس الاحساسات التى تجيش بها صدورنا ولنفس الشعور بالمسئولية المنبعثة من الصوت الداخلى الذى نحس به ونأتمر بأمره . واذ نسمع آنى وهو يستعطف قلبه (الذى هو ضميره) الا يخونه تدوى صرخته هذه فى قلوبنا ويرن صداها على مدى الاجيال فنسمع أحد تلك الاصداء يتردد فى كلمات شكسبير (على لسان الملك ريتشارد) :

« ان لضميرى بضعة آلاف من الالسنة ، ولكل لسان منها قصص عديدة ، وكل قصة تحكم على بالادانة »

لقد سمع المصرى الصوت عينه واستولى عليه الخوف منه فجاهد لكى يسكنه ، وكافح لكى يصمت صوت قلبه . فهو لم يكن يعترف بذنوبه بعد ولكنه كان يعمل بكل جهده على توكيد براءته أما الخطوة التالية نحو السمو والرقى الادبى فقد كانت تقضى عليه بأن يعترف متواضعاً بخطاه لالهه ولقد خطا المصرى هذه الخطوة بعد ذلك العصر . ولكن قوة أخرى تدخلت وأوقفت تقدمه وعطلت تحرر ضميره تحررا نهائيا . وليس من شك فى أن الدينونة التى صورت على هذه الحال والاحترام العام لاوزوريس فى عصر الامبراطورية قد ساعد الى حد كبير على انتشار الاعتقاد بالمسئولية الادبية فيما بعد الموت وفى نشر تلك الآراء عن القيمة العليا للكفاية الادبية التى رأيناها فى كتابات

الفلاسفة والمفكرين الذين عاشوا فى بلاط فرعون فى العصر الاقطاعى . وهكذا صارت عبادة اوزوريس قوة فعالة للبر بين الناس . ففتح الباب امام الجميع لكى يتشبهوا باوزوريس على أن يثبتوا قيمتهم الادبية له ليرضى عنهم .

ولو أن الكهنة تركوا الامور تجرى فى مجراها على هذا النحو لنشأ عن ذلك خير عظيم . ولكن لسوء الحظ أن الاعتقاد بالسحر وبفائدته فى العالم الثانى أخذ يزداد انتشارا . فصار الناس يؤمنون بأن الخيرات المادية كلها يمكن الحصول عليها من غير شك باستعمال التعاويذ الكفيلة بتحقيقها وحتى القوى غير الملموسة كالقلب (أو العقل) يمكن ضمانها بوسائل سحرية . ومما يجدر ذكره أن التعويذة التى كانت تستعملها الام الخائفة لوقاية ابنها من الشيطان الشرير كانت هى ذاتها التى يستعملها الرجل لمنع «قلبه» الذى هو فهمه من أن يؤخذ منه . ومنذ العهد الاقطاعى كان الكهنة قد أدمجوا فى كتاب الموتى تعويذة سحرية لهذا الغرض عنوانها : « فصل فى عدم السماح للقلب بأن يؤخذ من صاحبه فى العالم الثانى » وهنا يتسلل السحر الى عالم جديد ـ هو عالم الضمير والفضائل والشخصية . وكانت مصر اذ ذاك تجتاز مرحلة فكرية مؤقتة تسمح باعتبار السحر من الوسائل التى يقام لها وزن فى التقدير الادبى فلم يدع الكهنة هذه الفرصة تفر من أيديهم لما تجره عليهم من فيض الخيرات والمغانم . وبذلك أصبح السحر وسيلة لغايات أدبية ، وأصبح أغلب ما فى كتاب الموتى هو التعاويذ السحرية لايشذ عن ذلك الجزء الخاص بالمحاكمة فيما بعد الموت . وتلك الكلمات المؤثرة الاليمة التى وجهها آنى الى قلبه وهو يهيب به : «ياقلبي لاتقف مقابلى شاهداً على.. » صارت تكتب على حجر منحوت على هيئة الجعل المقدس يوضع فوق القلب كوسيلة سحرية فعالة تمنع القلب من أن يخون صاحبه أو يشهد بالحقيقة عليه . ثم صارت كلمات هذه التعويذة فصلا فى كتاب الموتى تحت عنوان « فصل فى منع القلب من أن يعارض صاحبه فى العالم الثانى » وكان الكتبة يكتبون نسخا لاعداد لها من فصول المحاكمة وتصريحات البراءة لبيعها لجماهير الطلاب . وكانوا يتركون مكان اسم المتوفى خاليا فيها لكى يملأه صاحب الشأن بعد ابتياعها ! وهكذا نجد أن أقدم نمو أدبى نستطيع أن نتعرفه فى تاريخ البشرية أصابه فجأة ما أوقفه أو على الاقل ما عطله عن التقدم لا لسبب الا للطمع المادى الممقوت .

ولا حاجة بنا الى الاشارة بما جره هذا العمل من الفوضى والاضطراب اذ سادت الفوضى الفكرية مرة أخرى لان الناس صاروا يعجزون عن ان يميزوا بين « ذاك الذى يدخل الى داخل الانسان » وبين « ذاك الذى يخرج منه » . لان ذلك التبرير الآلى الذى يحصل عليه الانسان من الخارج ويتحرر بواسطته مما يستحقه من العقاب لا يمكن باية حال أن يشفى أدواء نفسه الداخلية . وذلك الصوت الداخلى الذى اصغى اليه المصرى واحس بقوته أكثر من كل الشعوب القديمة والذى يرجع اليه كل الفضل فى تكوين الفكرة السامية عن الدينونة فيما بعد الموت حين يحاسب كل فرد على ماقدمت يداه — هذا الصوت الداخلى لم تكن تلك الوسائل بمستطيعة تسكيته . ومن المؤكد أن الاعتماد العام على هذه الوسائل وجعلها منتهى مايركن اليه للخلاص من المسئولية الادبية قد أثرا تأثير سيئا وسمما حياة الشعب . فكتاب الموتى هو وثيقة عجيبة فريدة لانه يظهر لنا باجلى وضوح حقيقة الدينونة فيما بعد الموت وكيف صور المصرى القديم آراءه عن المسئولية الادبية ولكنه فى الوقت عينه يظهر لنا بوضوح أيضا مدى التدهور الادبى الذى هبط اليه الشعب ! فهو كتاب صار قوة فعالة للشر بمقدار ما يتضمنه من الارتكان على الوسائل السحرية للتبرر تبررا لا يتفق والحقيقة . ولقد كان الكتبة يتفننون فى التصوير أيضا — وما ذلك الا لان الصور كانت وسيلة أخرى ضمن الوسائل السحرية ذات الاثر القوى الفعال .

ولقد كانت المكاسب المادية التى جناها الكهنة وحواشيهم لاحدها — فلذلك أطلقوا لخيالهم العنان . فقد كانت الرؤيا الاولى للحياة فيما بعد هى صورة حقل واسع يعمل فيه الميت فيحرثه ويرويه ويحصده ويجد اللذة والسعادة فى ذلك لان الحقل خصب جميل ينمو فيه القمح حتى يبلغ طوله اثنى عشر قدما . ولكن هذه الرؤيا التى كان يحلم بها المصريون فى عصورهم الاولى لم ترق فى أعين أشراف الامبراطورية الذين اعتادوا الترف والبذخ . فلم يكن من المغرى لاولئك المترفين أن يعلموا بانهم سيعملون فى الحقول — ولو كانت حقول السعداء المباركين — اذ هم من أشراف عصر كله رخاء وتنعم . وكان بعض المصريين فى الدولة الوسطى قد بدأوا يضعون داخل قبورهم تماثيل خشبية صغيرة تمثل الخدم لكى يقوموا بخدمة صاحبها فيما بعد الموت . اما فى عصر الامبراطورية فقد اتسعت دائرة هذه الفكرة . فنحتت تماثيل على شكل صاحب القبر تحمل الفأس أو المحراث أو غيرها من

أدوات الزرع وقد كتب فويذ صدورها تعاويز ماكرة :

« أيها التمثال الصغير * المحسوب بدلا من فلان (اسم الميت) ان أنا نوديت ، أو ان أنا طولبت بتأدية أى عمل فى العالم الثانى . . فضع نفسك مكانى فى كل شىء ، احرث الحقول ، أرو الزرع ، أرفع الرمال وانقلها من الشرق الى الغرب ، قل (هاأنذا) * . وهذه التعويذة كانت توضع ضمن الملف الذى عنوانه : « فصل يجعل التمثال الصغير يعمل الاعمال المطلوبة من الانسان فى العالم الآخر » . ولقد تمادوا فى استعمال هذه التماثيل حتى انتهى بهم الامر الى أن يضعوا تمثالا منها لكل يوم من أيام السنة — فصارت المقابر ملأى بها الى درجة أن المتاحف فى أنحاء العالم استطاعت الآن أن تكون حافلة بها .

واذا كانت وسائل الكسب من هذا الطريق عظيمة غير محدودة لم يكن لنا أن نعجب من أن الكهنة والكتبة الذين عاشوا فى عصر الامبراطورية قد افتنوا واسرفوا فى انتهاز هذه الفرصة . فبثوا فى الاذهان الرعب من العالم الثانى وضاعفوا من مخاطره . مادام أن الكاهن هو الذى كان فى ميسوره أن يقى الانسان كل خطر بما يمنحه أياه من التعاويذ فلم تعد التعاويذ قاصرة على تمكين الميت من الوصول الى العالم الثانى فحسب بل وجدت تعاويذ ايضا تحميه من أن يفقد فمه أو رأسه أو قلبه . وأخرى تمكنه من ان يذكر اسمه ويأكل ويتنفس وتدفع عنه اذى الحيات والوحوش الى غير ذلك من التعاويذ العديدة المتنوعة . كما أن الانسان متى رغب فى أن يتخذ شكل صقر أو زنبقة أو حية او حتى شكل آله كان فى امكانه ان يتحول الى الشكل الذى يريده بواسطة تعاويذ معينة — وخير تعويذة هى تلك التى تمنحه المقدرة على التغير والتحول حسب ما يشاء .

ومن العوامل التى أدت الى انشاء كتاب الموتى وتوسيعه بهذا المقدار كتابان قديمان . احدهما كتاب الطريقين الذى يرجع تاريخه الى الدولة الوسطى وفيه تذكر البوابة النارية التى يجب ان يجتازها الميت ليصل الى العالم الثانى وعن الطريقين اللذين يمكنه ان يسير فيهما بعد ذلك . وعلى هذا الاساس

---

* أن الكلمة المستعملة فى الملفات هى كلمة « بوشبتى » أو « أوستابتى » وتترجم « المجيب » ولكن لا يعرف معناها بالضبط ولا متى بدء باستعمالها .

توسع السكنه فوضعوا كتابا (عمن هو فى العالم الثانى) وصفوا فيه رحلة الاله الشمس فى المجاهل السفلى تحت الارض فى اثناء الليل وصوروا مافى هذه الرحلة من مغائر عددها اثنتاعشرة مغارة وتمثل كل مغارة منها ساعة معينة من الليل توصله فى النهاية الى تلك النقطة من الشرق التى تبدو منها الشمس للعالم . اما الكتاب الثانى واسمه (كتاب البوابات) فيصف مدخل كل مغارة وكيف يمكن المرء ان يجتازها .

ولكن اسمى ما فى كتاب الموتى وما يميزه عن غيره من الكتب وما يخرجه عن أن يكون مجرد كتاب عن السحر هو التوسع فى الفكرة القديمة عن الدينونة الادبية وعما فيه من تفهم لمعنى الضمير ولقد كانت الصلة بين الانسان وخالقه – من قبل العهد الاقطاعى – اسمى من ان تكون مجرد القيام بشعائر وطقوس معينة واصبحت مما يتعلق بالقلب وبالفضيلة

ولقد كان الادراك الادبى للمصرى قويا الى حد بعيد حتى انه لم يكتف بان يحدد قيمة حياته بان يجعل الغرض منها مجرد ارضاء اوزوريس فى العالم الاخر . فالمعتقد الاوزوريسى كان محصورا فى جعل المؤمن به لا يفكر فى النتائج المعنوية الادبية الا لمالها من اثر بعد الموت . لان اوزوريس كان اله الموتى . ولقد نادى الفلاسفة المفكرون الذين عاشوا فى عهد الاقطاع بالبر الذى لرع الاله الشمس وطالبوا بالعدل الاجتماعى الان وفى هذه الحياة لان رع يتطلب مثل هذا العدل . وكان لاولئك المفكرين سلالة فى عصر الامبراطورية – رجال وجدوا فى الايمان بالاله الشمس فرضا يدفعهم الى حياة البر هنا الان . وادركوا فى هذه الحياة الفضلى جزاءهم من الغبطة والسعادة قبل ان ينتقلوا الى العالم الثانى . لقد كان الاله الشمس الها للاحياء – حكم على الارض فى شئون الناس . فادركوا فى أثناء الحياة الارضية ذلك الواجب الادبى الذى يلقيه عليهم فى كل ساعة . وحوالى سنة ١٤٠٠ ق . م . وجه أحد مهندسى الملك امينهوتب الثالث تسبحة الى الاله الشمس يقول فيها «لقد كنت قائدا مقداماً بين تماثيلك ؛ اعمل البر من أجل قلبك ، اننى أعرف انك ترضى عن البر وانك ترفع صانع البر على الارض الى مرتبة سامية . فأنا عملت البر وأنت رفعتنى » كذلك كان الفرعون حين يقسم يقول : «بحق حب رع لى وبحق نعم أبى امون رع على» وحين شاء البطل الفاتح تحتمس الثالث أن يؤكد صحة مايقول امام الهه أشار الى حضرة الاله الشمس بتلك الكلمات «لانه

يعرف السماء ويعرف الارض ، وهو يرى العالم باسره فى كل ساعة » ومع أن المؤمنين باوزوريس حين يصفون ما فى عالمه الثانى من مغاور يقولون بأن الاله الشمس يتنقل فيها الا أن هذا المعتقد لم يكن له وجود فى العصور الاولى أيام لم يوجد للاله الشمس منافس وفى الامبراطورية كان الاله الشمس الها على عالم الاحياء حاضرا فى وسطهم مهتما بكل ما يعملون من يوم الى يوم مشتركا معهم فى أعمالهم . وأدرك الناس مسئوليتهم نحوه فيما يعملون فى هذا العالم . وهذا الادراك ازداد وقوى فى قلوب الجميع وكان سيتسع أيضا فى مداه باتساع الافق فى عصر الامبراطورية . وهكذا بزغت لاول مرة فى التاريخ امام أعين سكان وادى النيل رؤيا مثلى هى رؤيا الاله الاوحد للعالم كله .

ايريس حبيب المصرى

أبطال العادات السيئة

من المألوف أن الانسان عند مايرغب فى أبطال عادة سيئة أن يعمد لى تخفيف الالم من أبطالها بالقيام باعمال تشابهها . ولكن هذا السلوك ليس على الدوام حسنا لانه يستبقى العادة بهذا الذى يشابهها . فكثيرون مثلا عندما يبطلون عادة التدخين يضعون بين شفاهم ما يقوم مقام السجارة . ولكنهم ينسون أنهم بهذا العمل يستبقون عادة التدخين إذ هم لايزالون يدخنون تدخينا سيكلوجيا لانهم يحتفظون بملابسات العادة السيكلوجية . ولذلك سرعان مايعودون الى شراء السجاير والى التدخين . ولذلك يجب على من يريد الاقلاع عن عادة ما أن ينكف عنها انكفافا تاما وأن يكون هذا الانكفاف مفاجأة لاتدرج فيه . وقد يبدو هذا شاقا ولكنه فى الحقيقة أيسر وأنجع فى الغاء العادات . ثم يجب الا ان ننسى أن المخالفة الواحدة لعادة قد القيناها تعود بنا الى هذه العادة تماما كأننا لم نجهد أى جهد لالغائها . فيذهب تعبنا كله فى الالغاء هباء

شارل باجى

من أعلام الفكر الفرنسى

قتل فى سنة ١٩١٤ وهو يقود فصيلة من المشاة فى روعة الاشهر الاولى للحرب الكبرى . ومات باجى كما عاش فقيرا معدما ! فان كتبه لم تلق رواجا لأنه لم يندمج فى حزب سياسى أو دينى ومع ذلك فلقد كان عظيما يفخر بانه لم يفهمه الا قليل من الناس

قضى باجى فى ساحة الوغى سنة ١٩١٤ كما قضى مثله نفر من العباقرة النوابغ . وبينا قد تسحبت أذيال النسيان أو كادت على ذكريات أغلب ذلكم النفر فان نجم باجى الآفل أخذ فى الظهور عقيب موته الباسل بربع قرن من الزمن . فظهرت طبعات جديدة من مؤلفاته ولقيت من الرواج ما لم تلقه أبان حياته . وانشئت فى المدن الفرنسية أندية الشباب للبحث والدرس تحت عنوان «حلقات باجى» وأطلق المصلحون الاجتماعيون اسم «معاهد شارل باجى» على مدارسهم التى أنشأوها لتعليم أبناء الفقراء — وتلقى المحاضرات عن آثاره فى حى الجامعه بباريس فتكتظ القاعات بالسامعين ، وتصدر الكتب والبحوث لشرح أفكاره فيتهافت عليها القراء . ويقول أحد الباحثين حديثا : ان شعار باجى يرفرف اليوم على رؤوسنا ، ورسالته تشيع بيننا

وانه لمن حسن الاختيار أن نتحدث فى هذه البحوث عن أعلام الفكر فى فرنسا بهذا المفكر الذى علا نجمه وقوى أثره فى هذا العصر ، ذلك لان عصره قد تأثر وأخصب (سواء عن طريق الجذب أم عن طريق الدفع) بآراء قادة الفكر الذى جعلناهم موضوعا لهذه البحوث . فلسفة ديكارت فى نظر باجى أساسية ولو انها لم تخل من عيوب . وهو يقول « الفلسفة العظيمة ليست الفلسفة التى لا غناء عنها ، بل هى الفلسفة التى حين تخاصم وتنتقد تخرج فائزة منصورة فى نقطة معينة . والفلسفة العظيمة ليست فلسفة لا يشوبها عيب بل هى الفلسفة الجريئة التى لا تخشى بأسا » ويقول عن ديكارت « ربما

لم يسر العالم وراء ديكارت ولاشك ان ديكارت نفسه لم يسر وراء طريقته لكن ديكارت والعالم قد سارا وراء الباعث الديكارتي ، وانساقا الى مغرياته »

أما بسكال فقد ارتشف عنه باجي كأسا دهاقا ، وحتى حين لم يكن يحسب نفسه مسيحيا لم يرض باجي أن تفارقه لحظة « خواطر » بسكال . ويقول عنه أحد النقاد أن بين كتاباته وأفكار بسكال تشابهاً وتماثلا ، وانها تحوى فقرات كثيرة من مجموعة « خواطره »

ويبدو فى مؤلفات باجي الأولى أثر روسو واضحاً فيما دعا اليه من التفاؤل الذى يتوسم الخير أثراً من آثار الوسط الصالح . ولكن باجي يحيد عن هذا الموقف فى سنيه المتأخرة ويثير حرباً شعواء ضد الكثير من آراء روسو وبالاخص آراء رينان .

كذلك قد حفل نقل باجي وكتاباته بآراء برجسون وأفكاره ها هنا نتمثل تلمذته العقلية الحقة . ومن مغامرات حياته العقلية أن يعلن باجي على رؤوس الأشهاد أنه مسيحى ومن أشياع برجسون فى عصر استراب فيه مسيحيو فرنسا فى فلسفة برجسون ، وداخلهم الشك فى أمرها

وقصة باجي خلو من التعقيد ، فان مغامراته جلها تقع فى ميدان العقل والروح . وقد قضى حياته متنقلا بين مدن ثلاث : أورليان وباريس وشارتر . وقيل أنه لم يقم فى حياته برحلة طويلة الا مرة واحدة حين انتقل الى اراونج فى جنوبى فرنسا ليشهد تمثيل مأساة يونانيه كلاسيكية . ومما يؤثر عنه أنه كان يقتبس فى اعجاب كلمة جافة معزوة الى الرسام الشهير كوربيه قالها حين علم أن شاباً فناناً اعتزم الرحيل الى المشرق فسخر منه الرسام الشيخ بقوله : « أليس لك وطن ؟ » ومع ذلك فان آخرين غير الفرنسيين قد يرون فى باجي نبياً ؛ لان عظمة الانبياء لم تقم فى مختلف العصور على المظاهر الخارجية بل على استمساكهم بالحقيقة الخالدة الجامعة

ونبت شارل باجي من قلب فرنسا ، تحدر من أبوين ريفيين نشبعا بأفضل التقاليد التى يعتز بها أهل الريف فى الاعتصام بالكرامة ورعاية واجبات الصدق والامانة . ولذا نراه يتحدث ويكتب عن الايام الطوال التى كان يقضى فيها اسلافه سبع عشرة ساعة عاكفين على العمل فى كرومهم . وكان مولده فى يناير من سنة ١٨٧٣ فى قرية رابضة على ضفاف نهر اللوار ، قرية أصبحت الآن بفضل حركة التوسع فى المدن ضاحية من ضواحى أورليان القريبة منها . ومات أبوه وهو بعد طفل صغير ، فاضطرت الام الارملة ، ولم يكن لها من معين غير جدة عجوز ، أن تعول بيتها بالاشتغال فى اصلاح

كراسى الخيزران . وغدت الام والجدة ، بل شارل الصغير نفسه ، يعملون الساعات الطوال فى صناعتهم فتوافر لديهم من هذا العمل الشاق خبز الكفاف ، وراح الصغير يغذى عقله بالقصص الريفية القديمة التى كان يسمعها من جدته التى لم تكن تعرف القراءة والكتابة

وقد أينعت هذه البداية الساذجة فيما بعد فى فكر باجى . فلم يحاول ، كما فعل غيره من العباقرة الموهوبين ، نسيان موطنه بين الصناع والعاملين ، وحياته فى الجندية بفرقة ذوى الملابس السوداء فكان يقول مفاخرا بفضائل العامة « أنا من الشعب »

وقد برز من تلك الفضائل التى كانت موضع فخاره اثنتان ألبسهما فى كتاباته حلة متعمة — روح التقوى والتواضع فى إجادة العمل ، والأمانة المتناهية التى لاتهزها الزعازع . وقد تعلمها منذ نعومة أظفاره فى البيت وهو يصلح الكراسى مع أمه . وفى ملحمته الرائعة الاخيرة التى جعل عنوانها « حواء » يذكر احترامه وتقديره لكفاح المرأة فى بيت فقير . وهو يعتز بقصيدته « حواء » حاسبا اياها « المرأة العاملة الأولى »

أما عن الأمانة ، فقد كان باجى أفضل من مثل هذه الفضيلة فى حياته الخاصة وأكثر من ترددها وكما دعى الشاب محمد فى مكة « بالأمين » استحق باجى هذا اللقب فى أورليان أو فى باريس . ومن أقواله : (أماناتنا قلاعنا الحصينة) وكتب أيضا فى تصويره الخيالى لعالم معصوم . (وتكون أمانته أشبه ببرج هائل ، ويكون الزمان والمكان خدماً له)

هذا هو التراث الروحى الذى ورثه باجى عن بيته الوضيع . والآن لنعد الى تعليمه لنرى ما أضفى عليه من خير :

كان الغلام الصغير موفقا فى سنيه الاولى ، فى مدرسة كان معلموها شبانا يتدربون استعدادا لمهنة التعليم . وكان الصغار يتلقون دروسهم بالدور على أيدى الطلاب الذين وصفهم باجى فيما بعد بقوله عنهم « أشبه بجنود فرق الخيالة فى حسن مظهرهم » وكانوا على شىء غير قليل من الحماسة وهم يتدربون على المهنة الجديدة . ولكن المعلمين الشبان كانوا يعملون تحت إشراف عقول مفكرة قديرة ، فلم يلبث أحد هؤلاء أن توسم فى محيا باجى سيما النجابة والذكاء ، ولم يكن الغلام جميل الشكل حسن الهندام ، وانما علته مسحة من النباهة ويقظة الفكر فقال الاستاذ : « ينبغى أن يتعلم هذا الغلام

اللاتينية » . ومن ثم تمكن باجى أن يلتحق وهو فى الثانية عشرة بالمدرسة الثانوية — الليسيه — فى أورليان

سار باجى فى دراسته بجد واجتهاد حتى نال شهادة البكالوريا سنة ١٨٩١ مع منحة التفوق للاستمرار فى الدراسة العليا مجانا . فانتقل الشاب النابه ، وهو فى الثامنة عشر ، الى العالم الواسع فى باريس ، والتحق بمدرسة لاكانال للدراسة فيها سنة كاملة استعدادا للدخول فى مدرسة النورمال حيث يبلغ المستوى الجامعى

اقبل الغلام الريفى اليافع الى باريس ، غلاماً خشناً ساذجاً طويل القامة ، تعوزه الاناقة فى القول والكتابة . وهو يصف نفسه فيما بعد فى ذلك الطور بقوله : « الشاب المتحمس ، البليد ، الكئيب ، الحزين »

قضى سنة بلغ فيها من النماء حداً كبيراً ، واستيقظ فى نفسه شعور الجمال والاناقة . فكان فى ايام الآحاد يسير على قدميه اميالا سائراً فى متاحف الصور ومعاهد الفن ، وقد أشرق على فكره وحى جديد . وكان احياناً يرتاد مسرح التمثيل القومى ويجلس فى أعلى المسرح ليغذى حماسته وخيالاته بمشاهدة تمثيل رواية كلاسيكية

ولكنه فى آخر السنة فشل فى الامتحان ، فأوصد فى وجهه باب التعليم الجامعى . وكان مستطاعاً لشاب يعيش فى كنف أب حى ، وفى أسرة رغيدة العيش ، ان يقضى سنة اخرى ويحاول للمرة الثانية . ولكن انى ذلك للشاب الفقير باجى ؟ عاد الى اورليان والتحق مدى سنة كاملة باحدى فرق المشاة فى الخدمة العسكرية . وفى تلك السنة تكون تكويناً جديداً ، ومال بكليته الى حياة الجندية وظل متعشقاً لها حتى قضى فى ساحة القتال ، ليس كرجل من رجال الأدب سيق سوقاً ضد غريزته ، بل كجندى باسل بذل نفسه راضياً مرضياً فلقى فى هذا البذل رياً لقلب متعطش للتضحية . وقد شرح لنا ما ملك عليه لبه فى حياة الجندية ، فقال ان الجيش هيئة لايسودها المال ، بل يسيطر عليها النظام ، والايثار ، والشجاعة ، والتضحية .

وقد خيل الى باجى فى احلامه الفتية — كما خيل لكثيرين غيره من المفكرين الاشتراكيين — ان الحياة المثلى لخلاص العالم اشبه شىء بحياة الجندى فى نظامه وبسالته وتقشفه وتجرده عن

العالميات . ولعله يصح ان يكتب عنه الحديث المأثور : « لى حرفتان الجهاد والفقر »

ولكن ثكنات الجنود المشاة لن يمكن ان تكون ميداناً نهائياً لتدريب تلك الروح المتوثبة . وكما هيأ له من قبل استاذ ثاقب البصيرة ، سبيل الدرس فى المدرسة الثانوية ، نرى الآن فريقاً من زملائه الحصيفين يضمنون له سبيل عودته الى باريس لتلقى دراسته العليا . وكان ذلك الفتى الريفى الاخرق قد فاز باعجاب نفر من زملائه التلاميذ فى مدرسة « لا كانال » فاجتمعوا معاً عند رئيس كلية « سنت بارب » واقنعوه باعطاء منحة المجانية لصديقهم الذى كان موضع اعجابهم وتقديرهم

ومرة اخرى ، فى سنة ١٨٩٤ ، اقبل باجى الى باريس ، حيث قضى ثلاث سنوات فى كلية سنت بارب ، ومدرسة لويس الرابع عشر ، ومدرسة النورمال — وكما هو شأن الشباب المتوثب اتصل فى غضون تلك السنوات باصدقاء تبادل وايهم خير المؤثرات . وأضحى باجى من تلك الفترة صاحب الاثر النافذ فى عقول زملائه . وكن بين أصدقائه فى الكلية أشخاص (بقى أكثرهم أصدقاء له مدى الحياة) بذوا أقرانهم فى ميادين الحياة المختلفة نذكر منهم ثاران ، وبارشيه ، ولوت وبسلونا ، وباية ، وبندونا — ورفعت السنة التى قضاها فى الجندية مكانته بين زملائه حتى قال عن نفسه انه كان اشبه « بقائد حربى » فى مدرسة النورمال

وها نحن نرى الان ربيب الريف يتناول فى جد ورزانة مشاكل المظالم والفقر وعدم المساواة فتطور اشتراكيا احساسا متحمسا لانتشال الطبقات المدوسة ، وترك وراءه دين طفولته (وان لم يكن قد نبذه) اذ احس ان الكنيسة وقف على ذوى المكانة والاعتبار . ومع ذلك نراه يرافق فى ليالى الشتاء القارسة صديقه « بايه » (وهو مسيحى مخلص) ليخدم الفقراء فى مطبخ من مطابخ الشعب وذات يوم نفد مالهم ونضب معينهم فخرج باجى وزملاء له الى الاسواق يستجدون « بطاطسا » لعمل الحساء . ثم عمل ماجاد به عليه الخيرون فى عربة صغيرة جرها هو وزملاؤه . وأما عن المظهر الشخصى نقيل عن باجى فى ذلك العصر أنه كن أشبه بالمصريين فى شكله . وقد جرى زملاءه الطلبة على أن يشبهوه بالتمثال المصرى الشهير فى اللوفر المعروف بتمثال « الكاتب الرابض »

وبين الذين طبعوا أثرا ظاهرا فى حياة باجى فى سنى تكوينه نذكر (لوسيان هر) امين مكتبة الكلية ، والعالم الذى لم يدخر وسعا فى معونة الطلبة الذين وفدوا اليه للانتصاح برأيه الثاقب وكان

(هر) نفسه عضوا فى الحزب الاشتراكى ، والى مؤثراته يرجع الفضل فى انضمام باجى الى معسكر الاشتراكيين

وكان برجسون فى تلك الفترة شابا محاضرا ، فكان تأثيره على باجى عميقا فعالا . وقبيل موته نسمعه يصف نفسه ومعاصريه بقوله : «هم الذين تدربوا على نظام برجسون ، وهم الذين وضعت تحت إمرتهم مصطلحات فلسفته قبل أن تفهمها الانسانية فى هذا العصر» أما عن تلك الفلسفة فيقول باجى : «هى محاولة جريئة لايجاد علاقة وثيقة بين العقل وبين الحقيقه» - وهو وصف قد يصدق أيضا على المهمة التى نصب باجى حياته لأجلها

أما الشخص الثالث الذى تأثر به باجى فى تلك الفترة فهو « مارسيل باندونا » . وكان زميلا طالبا (حتى قيل عنه أنه الزميل الطالب الوحيد الذى طبع أثره فى حياة من كان فى الواقع زعيما وقائدا) . وكان (بادونا) نفسه من معسكر الاشتراكيين ، وذلك لانه تصور أن يقيم هناك قسطاس العدالة للمدرسين المظلومين . وقد عقد الزميلان الخناصر على أن يضرما حربا شعواء ضد (أمراض الانسانية وأوباءها الشاملة) . ولكن رغم بادونا فى أن يشمل برنامج الاصلاح الاشتراكى عناصر أدبية روحية لا سياسية ولم يكن صاحبنا هذا مسيحيا صادقا ، ولكنه أقنع باجى انه لا مناص ، لاصلاح الاخطاء وتقويم المعوج ، من وجود علاقة تصلنا بالقوم ورابطة تقربنا اليهم علاقة قالوا عنها « المحبة والخير »

والآن تحل أزمة محرجة : اذ يموت باندونا فجأة ، فيشعر باجى وهو كسير القلب موجعة بأنه مرتبط لتنفيذ برنامجها المشترك ، ويلقى عنه رداء الحذر والتحوط « ولم يكن ممن يروق الحذر فى نظرهم » فيغادر مدرسة النورمال بعد دراسة سنتين قبل أن يؤدى الامتحان الذى كان ممكنا أن يضمن له عيشا هنيئاً . ثم يتزوج من أخت مارسيل باندونا . ويسكب نفسه سكبا فى كتابه الاول فيعلن فيه حربا شعواء باسمه وباسم زميله مارسيل باندونا ضد « الامراض الجامعة فى الانسانية »

وقد جعل عنوان كتابه الاول « جان دارك » ثم أهداه عربون ولاء واخلاص باسم بيير باندونا . وكانت بطلة الكتاب بطلة اورليان أيضا ، مهد حداثة باجى ، وهذا بعض السر فى جذبها اياه ، كما كتب يقول فيما بعد : — هذه القصة العظيمة الخالدة ، قصة القداسة المخلدة ، قد

جرت فصولها على مسرح بلادنا . هذه القصة العظيمة الخالدة هى قصة وطننا

وقد دهش بعض اصدقاءه الاشتراكيين أن يروا كتاب باجى دائرا حول سيدة قديسة مسيحية ولكن الواقع أن حياة جان دارك الدينية فى تلك الفترة لم تكن الا فى مرتبة ثانوية فى نظر باجى كذلك لم يعن العناية الواجبة بدرس تلك الشخصية دراسة تاريخية مدققة . لان الكاتب وضع نصب عينيه أغراضا اخرى كانت جان دارك شعارها فى نظره . ورأى فيها مجسمة تلك الصفات التى خالها ضرورية لاشعال جذوة الحرب ضد امراض الانسانية . وفيها تمثل حبه لعامة الشعب ، للريف ، وللحياة الجندية ، وللبطولة ، والايمان والرجاء ، والاخاء

ويقترن هذا الكتاب الاول بكتابين اخريين صدرا بعده مباشرة . وفى هذه كلها شرح مستفيض لاشتراكية باجى الاول وولائه الصادق لذكرى صديقه مارسيل باندونا . وفى سنة ١٨٩٨ اصدر باجى كتابه : « مارسيل او حديث عن المدنية الفاضلة »

وهى قصة خيالية كما يدل عليها عنوانها ، اهداها الى صديقه مارسيل باندونا الذى اطلق اسمه أيضاً على ولده البكر ، أردف هذا بكتاب آخر فى سنة ١٨٩٩ عنونه (عن المدينة الاشتراكية)

وفى هذه الكتب الثلاث نرى نمط أفكار باجى المبتكرة ، وقد بلغت من السمو شأواً رفيعاً . وهنا تحضرنا عبارة مأثورة تمثل لنا حياته كلها : « لن يقدر أن يخلص الانسان بمفرده » والفكرة الاساسية التى نسج خيوطها فى كتبه الاولى هذه أن الانسانية جمعاء يجب أن تخلص . « فالمدينة المتجانسة » يسكنها مواطنون ، كلهم خلائق حية ، وكلهم ذوو نفوس ، وهى اشتراكية بمعنى أن تخضع نظام توزيع الحاجيات فيها وتبادل المتاع لرقابة معينة . ولكن هذه الاشتراكيته التى دعا اليها تبتعد الآن عن اشتراكية الحزب السياسى الذى خال نفسه عضوا فيه . ذلك لان اشتراكية عفت عن البغضاء وخلت من كفاح الطبقات . وبينا يرى باجى المثل الاعلى فى الدولة أن يخدم كل فرد لصالح المجموع ، فانه لم يجعل فيها معسكرات خاصة للعمال . وقد كان باجى متأثراً بنظرية روسو القائلة أن البشر يصلح حالهم لوجدوا فى وسط سليم صالح ، فرسم أفراد الشعب ، فى الدولة التى صورها كمثل أعلى ، وأعطى لكل منهم حقاً أن يختار العمل الذى يرضاه لنفسه لخير الجماعة ، حاسباً اياه دعوة اختيارية وليس لمهمة ثقيلة . ويتوافر لكل ما يكفيه ، ولكن لايكون احدهم غنياً ولا يرغب أحدهم

فى ذلك . وقد ناهض باجى — شأنه فى كل موقف فى حياته — كل فكرة انطوت على جزاء مادى. فان بطلة روايته «جان دارك» تأبى أن تتوسل الى جنودها عن هذا الطريق . ويقول فى « مارسيل» «ينبغى أن يكون التطور الاجتماعى أدبياً والا بطل فعله » وفى اشتراكيته مال كلية للجوء الى الجانب الاسمى فى طبيعة الانسان وقد علق فى اخريات أيامه عن احلامه الاولى بقوله : « كانت اشتراكيتنا متصلة اتصالا وثيقاً بالمسيحية »

وليس من شك أن أفكار باجى كانت تبتعد عن البرنامج السياسى لحزب اشتراكى ؛ ولو أنه لم يجاهر بهذا الابتعاد فى أول الامر — وفى سنة ١٨٩٨ شرع وصديق له فى فتح مكتبة اشتراكية فى الحى اللاتينى بباريس.وكان يختلف اليها زملاؤه الاشتراكيون والدريفوسيون (١) فكنت ترى باجى يسير أحياناً مع نفر من زملائه المتسلحين بالعصى تأهبا للعراك مع اعداء الاشتراكية فى شارع سنت ميشيل . ولكن المكتبة لم تكتظ بالشارين فلم يطل عمرها اكثر من ثمانية عشر شهرا حتى أفلست ماليا وكانت تلك ساعة أليمة حزت فى نفس باجى ؛ فانه كان قد أودع فيها رأس المال القليل الذى تلقاه عن زوجته . وعلى أثر ذلك أدرك أيضاً أن بين آرائه وآراء زملائه فى الحزب الاشتراكى فارقا ؛ فاضطر الى تسليم عمله الصحفى الى جريدتين اشتراكيتين ؛ ثم الى الانفصال حانقا من زعيمه القديم « لوسيان هر » وزميله « ليون بلوم » الذى صار فيما بعد رئيس الوزارة الفرنسية

وأخذ عقل باجى يستعد لمغامرة جديدة . فان الصحافة ، وحتى الصحافة الاشتراكية ، عجزت عن اشباع آماله ومثله الكريمة النبيلة . فراح الرجل يحلم فى انشاء الجريدة الحقه الجريدة التى لا يكون

(١) كان دريفوس فرنسياً يهودياً من رجال الجيش ، أتهم خطأ بالخيانة سنة ١٨٩٥ وأبعد كمذنب الى جزيرة الشيطان . وكانت محاكمته الاولى على غير ما تفرضه مقتضيات العدالة فاثار ذلك جدلا عنيفاً فى صحافة بلدان عدة . وكان من أنصاره (الذين أطلقوا على أنفسهم لقب الدريفوسيين) كليمانسو ويوريه وبويسون واميل زولا . فاثاروا حملة شديدة الوطأة ولكن ظل الامر معلقاً مدى سنوات قبل أن يفلح المدافعون عنه فى التغلب على الشعور العام المضاد لليهود وثبت فيما بعد أن المجرم الحقيقى هو الكونت « استرهازى » بالاشتراك مع آخرين ، فاطلق سراح دريفوس حوالى سنة ١٩٠٠ وأعيد الى رتبته فى الجيش

ديدنها هدم شيء معين ، ولا تعتمد فى حياتها على سياسة حزب ، ولا ترمى الى مغانم مادية ، ولا تخشى شيئا الا مخافة تشويه الحق

ولكن جريدة كهذه لاتقوى مالية باجى على الاضطلاع بها ؛ فاتجه فكره الان - ٥ يناير سنة ١٩٠٠ - للقيام بنصيبه مستقلا فى الصحافة الحرة فأصدر نشراته المشهورة « كراسات الاسبوعين » وظلت هذه مهمته الخاصة ومورد رزقه المزعزع حتى ادركته المنية فى بداية الحرب العظمى . ولم يكن لتلك النشرات مثيل فى عالم الصحافة . فكان يصدرها فى فترات غير منتظمة ، ويخاطب بها اصدقاء الحق ، ويرسلها لمن يطلبها ، ولم يكن لها اشتراك معين ، فلكل قارىء الحرية ان يدفع مايشاء اذا رغب فى ذلك . وصدرت كل نشرة بقلم شخص معين ، وحوت كل منها - علاوة على الافتتاحية بقلم باجى - بحثا دراسيا ، ومقالا تهجيا ، ومجموعة من القصائد الشعرية ، ورواية لاحد الكتاب يعبر فيها عن آرائه الخاصة . وقد جمعت بعض هذه البحوث المفرقة فى كتب فنالت شهرة واسعة نذكر منها دراسة رومان رولان لبيتهوفن ، ومؤلفات باجى نفسه مثل «وطننا» ١٩٠٥ و «شبابنا» و « المال » ١٩١٣ . اما افتتاحياته فاطلق عليها بعض الوقت (خطابات الى ريفى) وهو اللقب الذى اختاره بسكال لرسائله . وكان الغرض من رسائل باجى ، كما كان غرض رسائل بسكال ، ان تفضح الدسائس التى تهدد الحق والبر

وعاش باجى فى الريف خارج باريس ، فكان يحمل فى كل مساء مسودات مقالاته وتجاربها الى دار البريد ، ويقطع مسافة طويلة فى طريق ريفية وقد تدثر بردائه الطويل ليقيه برد الشتاء ، مفكرا فى عمله او متناقشا مع صديق له . وكان « لنشراته » مكتب فى باريس - مؤلف من غرفتين صغيرتين على مقربة من السوربون - يؤمه كل صنوف الناس لان باجى كان دائما فى مركز الزعامة لجماعة ما . وفى ذلك المكتب جلس جورج سوريل ، معلم لينين وموسوليني ، ووضع شريعته . وكانت النشرات « كراسات الاسبوعين » فى بدء عهدها اشتراكية دريفوسية . وقد رأى باجى ان فى انضمامه الى انصار دريفوس الطريق الوحيد للافصاح عن ولائه البر والصلاح . فان قوما احسوا ان اعلان براءة دريفوس الطريق الوحيد فلافصاح عن ولائه للبر والصلاح . فان قوما احسوا ان اعلان براءة دريفوس يطعن الحكومة الفرنسية والجيش الفرنسى فى صميم الكرامة وقالوا : لايليق أن يحب

الانسان المدنية لاجل مواطن واحد فيها. ولكن إنصاف مواطن واحد مهما تكن النتائج كان فى نظر باجى الطريق الوحيد لتخليص المدينة وانقاذها . وهو الذى احب خلاص فرنسا الابدى اكثر من حبه لفوزها المادى العالمى حتى قال اننا نفكر فى خلاص فرنسا الابدى الخالد

وبعد ان تبرأ دريفوس بعد صراع طويل ، وألتف اصدقاؤه فى حزب سياسى قوى ، لم يرض باجى عن فعال كثيرين من أعضاء الحزب فانفصل عن الجماعة وخسرت نشراته اعضاءها الاشتراكين والدريفوسيين

وظلت النشرات قائمة على اكتاف نفر من الاتباع والاصدقاء الاخصاء ، وهم كثيرو العدد اذا حسبناهم انصار الصداقة الشخصية لرجل امين مخلص تجرد من الاثرة وحب الذات ، ولكنهم قليلون جدا اذا فكرنا ان اشتراكاتهم كانت المورد المالى الوحيد الذى استند اليه باجى. واولئك هم الذين بهرهم ذلك الرجل العظيم ، الجاف ، ذو الشكل الملتحى ، الرجل الذى لم يهنأ له العيش فى مقعدوثير والذى شعت على وجهه كما قال عنه صديقه ماسيس . أنوار من العواطف والآراء المتدفقة ، فتلمع جبينه بأومضة براقة ـ وبتلك النظرة الهائلة الخارقة المليئة بالمعانى ، والمتقدة بالذكاء والمتشبعة بالعطف

وكان صاحبنا فى تلك الفترة يجوز دوراً من أدوار التطور الداخلى جاء به اخيراً الى فتح جديد فى الفكر عام ١٩٠٨ ـ وكان قد أذاع بين أصدقائه فى سنة ١٩٠٠ يوم بدأ نشراته ـ انه سيأتى بما لم تستطعه المسيحية . ولكن كان يرن طيلة الاربعة عشر عاما فى حياته الداخلية صوت المسيح داعيا اياه . وما أزفت سنة ١٩٠٨ حتى أدرك أنه كان واهما ولم يأت ـ بافضل مما جاءت به المسيحية ـ وان يكن قد جاء بما هو أفضل من مهازل المسيحية التى يمثلها المسيحيون الاردياء . وادت به خاتمة المطاف الفكرى فى سنة ١٩٠٨ الى اليقين بانه لارجاء للانسانية الا فى المسيح ومبادئه . وفى يوم من أيام تلك السنة اقبل ـ لوت ـ لافتقاد صديقه باجى وكان ملازما فراشه ، وفى أثناء الحديث انتصب باجى قليلا متكئا على مرفقه وقال ـ لم أقل لك كل شىء فانى استعدت ايمانى ، وأنا الآن كاثوليكى وكان قد بلغ الخامسة والثلاثين عند ذاك .

وقد بقى باجى الى نهاية حياته غير خاضع لنظم كنيسته خضوعا تاما ، ولكن لم يرتب احد فى أن نفسه قد ألفت فى الله راحة ومستقرا . ولم يكن هذا لمجرد رغبته فى الحصول على حياة هادئة

للنفس أو الجسد ، فقد كان باجى مجاهدا من أبطال الروح

وكان اعلانه الاول الذى أذاعه فى الملأعقب هذا الاقتناع كتابه الثانى عن جان دارك الذى اصدره فى سنة ١٩٠٨ ـ وكان مايزال متأثراً بتلك الشخصية كما كان قبل عشر سنوات ، متأثرا بما اسماه «السر المنقطع النظير فى حياة أعظم قديسة عاشت على الارض فيما اعتقد ، وفى دعوتها وقداستها واستشهادها »

وفى كتابه الاول عن حياة جان دارك اعترف بحاجتنا الى المحبة الأخوية . وهو الآن اشد شعورا بهذه الحاجة . ولكن فكرته عنها تعمقت بفضل تأمله فى أقوال بسكال وفى العهد الجديد . فهو يرى المحبة الان ليست مجرد عاطفة اخوية ، بل من الله وفى الله . ومحبة هذا وصفها تشمل جميع الناس رغم ضروب الخطايا وعوامل الاستفزاز ، وتذهب الى ماهو أبعد من مطالب العدالة المجردة ، فترضى ان تموت عنهم على الصليب . ولذلك ترى باجى يكتب فى هذه الفترة «لا أعرف الاشكال واحدا من أشكال المحبة المسيحية ، هو مشاركة الفقراء والضعفاء والمظلومين مشاركة دائمة فى الروحيات والزمنيات » هذا طراز جديد فى البطولة جنح اليه الآن باجى

وان انسانا يجنح الى هذا الموقف السامى الخطير جد مفتقر الى ولاء الاصدقاء والاعوان ، ولكن باجى احس بالخيبة حين انفض عنه الكاثوليك ولم يركنوا اليه . وكيف يثقون فيه ولما يمض عليه طويلا منذ انسحابه من الاشتراكية والدريفوسية ، وقد كان أيضا من انصار برجسون وتلاميذه !

عكف باجى الى ايداع أفكاره العميقة الجديدة فى مؤلفاته «شبابنا» و«المال» ولكن لم يرافقه الحظ هذه المرة أيضاً كما نحسه من قبل ولم تلق كتبه رواجاً واقبالا . وتدل رسائله فى تلك الفترة على رجل متعب الاحساس منهوك العقل . ولكنه غدا الآن شغوفا بعادة جديدة : هى الانصراف الى الصلاة لله وتعريض حياته الى مؤثرات السماء . وفجأة أغرق فى أوائل سنة ١٩١٣ بموجة من السلام العميق الهادىء . فقال عندئذ لسيد. نفسه « ها أنا أسلم ذاتى » ويبدو فى ملحمته الرائعة «حواء» التى كتبها بعد ذلك سلام عميق ليس من هذا العالم

وفى يوم التعبئة استعداداً لخوض غمار الحرب الكبرى ذهب باجى لتوديع صديق له فى باريس ،

وإذ تذكر هناك أن بينه وبين خادمة الدار غباشة من سوء التفاهم ، انتظرها عند أول الدرج حتى صافحها وسار لحال سبيله

وكان على اللفتيانت باجى أن يقود فرقته فى الايام الاولى من الحرب العظمى تحت ظروف قاسية مريعة ، فكانوا يقضون أياما دون طعام أو نوم ، حتى كان يدرك النعاس بعضهم وهم سائرون

وفى اليوم الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٩١٤ أصابته رصاصة فى جبهته فخر صريعا على الارض ولفظ انفاسه الاخيرة

* * *

قال باجى مرة . « كل ما كتبته موقع عليه بامضائى . ولو أن الامضاء ليست ظاهرة فى أسفل الصفحة » . وقد أصاب فى هذا ، لان أسلوبه المبتكر الرائع احتل مكانة ممتازة فى الادب الفرنسى . وكان يكتب ملهما مختاراً وهو يصغى الى صوت إلهام داخلى ، كما فعل سقراط من قبل . فاذا طرق الصوت اسماعه ، كان باجى ينهض ليكتب فى غير جلبة وضوضاء

وكان للنثر الذى صاغه ، وللقريض الذى نظمه ، ميزات خاصة مبتكرة . وكأنما كتاباته قد خلت من فكرة معينة يرسمها للفصل أو قصيدة (كما يفعل معظم الكتاب) ، فكان يسمح لفكره أن يشرد ويضل فى سبيل الاسترسال فى لفظ خصيب بالمعانى والملابسات . وفى بعض المواقف تذكرنا كتاباته بحداد يمسك فى يده مطرقة يدق بها دقا متواليا فوق بقعة واحدة ، وكل دقة تشبه سابقتها فى الظاهر ، ولكنها تفعل فعلها فى صوغ قطعة المعدن . وقد نرى باجى يقرض نحواً من خمسة وعشرين بيتا من الشعر فى احدى ملاحمه المطولة ويبدأ كلا بالسطر عينه أو بتغيير لفظة واحدة من ألفاظه . وعلينا أن نرقب انتقال فكره كأننا نشهد شريطا سينمائيا يدور أمامنا بحركة متباطئة ، بينما يسارع معظم الكتاب فى عرض أفكارهم المتتابعة . وقد قال أحد النقاد ممن يستهنون هذا الضرب من الكتابة . « أن باجى يحملنا دائما على أن نتناول طعامنا فى المطبخ » . ولم يكن غرض باجى أن يستعرض أمامنا الانوار الوضاءة العالية فى فكره ، بل أن يعرضه فى جملته ، ولذلك نراه يتغاضى عن اللآلىء الكثيرة الكامنة فى مؤلفاته . ولكن على الرغم من العبارات الثقيلة الباردة فى أسلوبه ، قد سما به الى العظمة الحقة والجمال الرائع ، لانه كان رجلا عظيما ومخلصا . ولكى تتشبع

من معناه ونتذوق عذوبته ، لابد أن نقرأه بصوت عال

ولـكى نفهم أفكاره التى تملـكت منه ، لامحيص عن دراسة كلمتين أو ثلاث اختص بها واتخذ منها معنى تفرد هو به

خلف رينان لتلاميذه فـكرة عن رقى بشرى يصعد الى العلى ولا يهبط الى الدنى خطوة واحدة وقد درس باجى هذه الفكرة فى عقول تلاميذ رينان فقـال عنها : « انهـا نظرية عن الرقى تشبه نظرية صندوق التوفير » وذلك لانها زعمت أن البشر يصيبون الرقى بتكديس المتاع والآراء والمعرفة والحذق الآلى . وكأنما فـكرة الرقى قوامها الـكمية وشعارها المال الذى يقاس بالـكم

وباجى لاينكر هذا الرقى المادى ، ولـكنه فيما خلا المظهر المادى يرتاب فى وجود أى رقى صحيح فى نظم الانسانية . وهو يعتقد أن الاراء ، والافكار الباسلة ، والعواطف الحارة ، تميل الى الانحطاط اذ تمسى من فرط الاستعمال جامدة ، عادية ، بليدة . وخلص من ذلك بنتيجة وهى أن روح الانسان اذا خلت من عمل النعمة الالهية المنعشة ، تنحط وتتقسى ويصيبها موات العادة .

ومن الغريب أن يجعل باجى استعماله للكلمة «صوفى» مرادفاً للجذب الروحى وفى كتاباته تقرب الـكلمة فى معناها الى القوة الروحية التى عرفها برجسون . فهى الشرر فى جماعة الـكهرباء ، وهى الحيوية الروحية ، والحرية

أما الـكلمة «جمهورى» بغض النظر عن المعنى الذى قصده أرسطو فهى فى نظر باجى دلالة على الحطة والدناءة ، هى صيرورة الفكر أو المبدىء الى حال من الادبار والانحطاط بعد أن تفقد حيويتها الروحية وتمسى عادة ميتة ، ولو بدت عليها فى الظاهر مسحة الفوز والاقبال

أما الامثولة الضرورية التى يتلقاها باجى عن برجسون فهى أن يحيد بالانسان عن الهبوط الذى تحده اليه العادة المائتة ، وان يبتعد به عن الميول العقلية الخاصة التى تهبط به الى المنحدرات

نظر باجى الى مهمة برجسون كمعركة حامية ضد الاشياء الجاهزة ، أى المبادىء الجامدة المقررة المتواضع عليها ، وتلك العقول والارواح التى تعيش عالة على غيرها كالطفيليات

ومن اقواله . « كما ان فلسفة ديكارت تشمل تسلق المنحدر للابتعاد عن الخلل والفوضى ،

كذلك تشمل فلسفة برجسون تسلق المنحدر لاجتناب الاشياء ـ الجاهزة ـ المصنوعة من قبل . وتلك الاشياء فى عرفه ليست الجرى على مألوف العادات والتشبث بالانماط الآلية المطردة وحسب ، انما هى نتائجها وما ينشأ عنها من المحال وجفاف فى النفس . ومن ثم يقول :

« ان الفكرة الرديئة الجاهزة ، (التى تؤخذ على سبيل العادة) ضارة مؤذية ، وضررها فى جمودها اكثر منه فى ردائتها »

وعوضاً عن تلك الافكار والمبادىء الجاهزة ، المصنوعة من قبل ، يجاهد باجى فى سبيل أفكار مبتكرة ، أفكار ـ وان تكن ناقصة ـ تندفع بما أسماه برجسون « القوة الحيوية » . وهو يجاهد لهذا الغرض فى الميدان الادبى الروحى ايضاً . ويرى ان البطولة والقداسة هما بالضرورة كفاح ضد جمود كل الانماط المطردة . ومن أقواله المأثورة : « لوظن المسيحيون ان القديسين أفراد هادئون ساكنون ، فهم على خطأ » وهنا يطبق باجى فى الميدان الروحى فكرة برجسون القائلة ان الحياة حركة دائبة .

وعلى هذا المثال استعار تعاليم برجسون عن « هبة » الحساسية الدينية فى الحياة الروحية ، واكد ان نعمة الله منحة يعطاها الانسان عن طريق الهبة . فهى موضوعية وليست ذاتية . ومعنى هذا ان نعمة الله ليست أثراً من آثار مبادئنا ولا اختباراتنا السيكولوجية . انما هى قوة تأتينا من الخارج وتبدل وجهة نظرنا فى العالم . وفى كل عقيدة حية عن الله عنصر موهوب . ومعنى هذا اننا نؤمن بالله (ايماناً يزيد أو ينقص) لانه لا يسعنا الا هذا ، وكأننا مسوقون بباعث خارج عن أنفسنا وعن عالمنا ، يضغط ارواحنا كأنه نداء من الله موجه الينا . ويرى باجى ان من مستلزمات الحياة الصالحة فى العقل والروح على السواء ، الجدة والاخلاص والقابلية العقلية الفتية . ولذا يقول : « ان حياة البطولة هى حياة الفرح » ويخلع على عمل الفلسفة ثوب البسالة ، ويحسب كل فلسفة مغامرة فى سبيل الاخاء . ومما كتب . « الفلسفة الحقة تعلم جيداً انها لم تقم لتناهض فلسفة منافسة لها ، ولكنها تقوم جنباً الى جنب مع منافستها ومع الفلسفات الاخرى لمواجهة عظيمة غامضة وان حضور مساجلة بين الفلاسفة أو الاشتراك فيها بفكرة اقناع الخصم أو هزيمته ، أو لرؤية فلسفة

تصرع أخرى ـ يدل على أن المرء لايفهم طبيعة الأشيـــاء ، ويفضح عجزه وخطأه ووحشيته .. والانسان الضعيف الذى يصرع من هو أضعف منه لم يأت شيئا مذكورا . ولـكن مواجهة فـكرة عظمى نظيرها أمر ينشرح له قلب الله .. الضعف يسعى للغنم على حسـاب الله ، امـا القوة الحقـة والعبقرية فلا يطلبان انفسيهما مغنما وانما يهديان لله بملء القوة والجمال شيئا جديدا نبيلا لترقية الفكر البشرى . وبعد هذا فالدينونة ليست من حق البشر لان لله القول الفصل

هذه هى المحكمة العليا التى لجأ اليها باجى للحـكم له أو عليه ، والى حكم هذا القضاء العادل نكل أمره

بنت الحارث

ماذا يجعل الزواج سعيدا

الاستاذ بورجس هو أحد أساتذة جامعة شيكاغو وقد قضى سبع سنوات وهو يبحث العوامل التى تعمل لسعادة الزوجين او شقائهم وفحص عن أكثر من خمسمائة زواج انتهى بالنجاح أو الفشل فوجد ان مايعمل لسعادة الزوجين هو أن يحتوى الزواج على ماياتى من الشروط .

١ ـ أن يكون اباء الزوجين سعداء

٢ ـ أن تكون بيئة الزوج مشابهة للبيئة التى نشأت فيها الزوجة

٣ ـ ان يكون للزوج دخل منتظم لاتختلف مواعيده او مقاديره

٤ ـ ان يكون الزوجان قد عرف كل منهما الآخر مدة طويلة قبل الزواج

٥ ـ أن يكون الزواج ثمرة الصداقة وللصاحبة اكثر من أن يكون ثمرة الغرام والفتنة

٦ ـ ان يرغب الزوجان فى النسل

٧ ـ أن تكون الزوجة قد عملت وكسبت قبل الزواج

٨ ـ الا تكون الزوجة قد تنقلت فى أعمال كثيرة قبل الزواج

٩ ـ أن يتزوج الابن البكر الفتاة البكر

١٠ ـ ان يكون كل منهما متعلقا بابويه

١١ ـ أن يكون الزوج عضوا فى هيئتين أو ثلاث نظامية قبل الزواج

البومة: طائر الشؤم أم اليمن

من صفات الذهن البشرى انه يلصق الاشياء الى ما يلابسها حتى ولو كانت هذه الملابسة جوارا

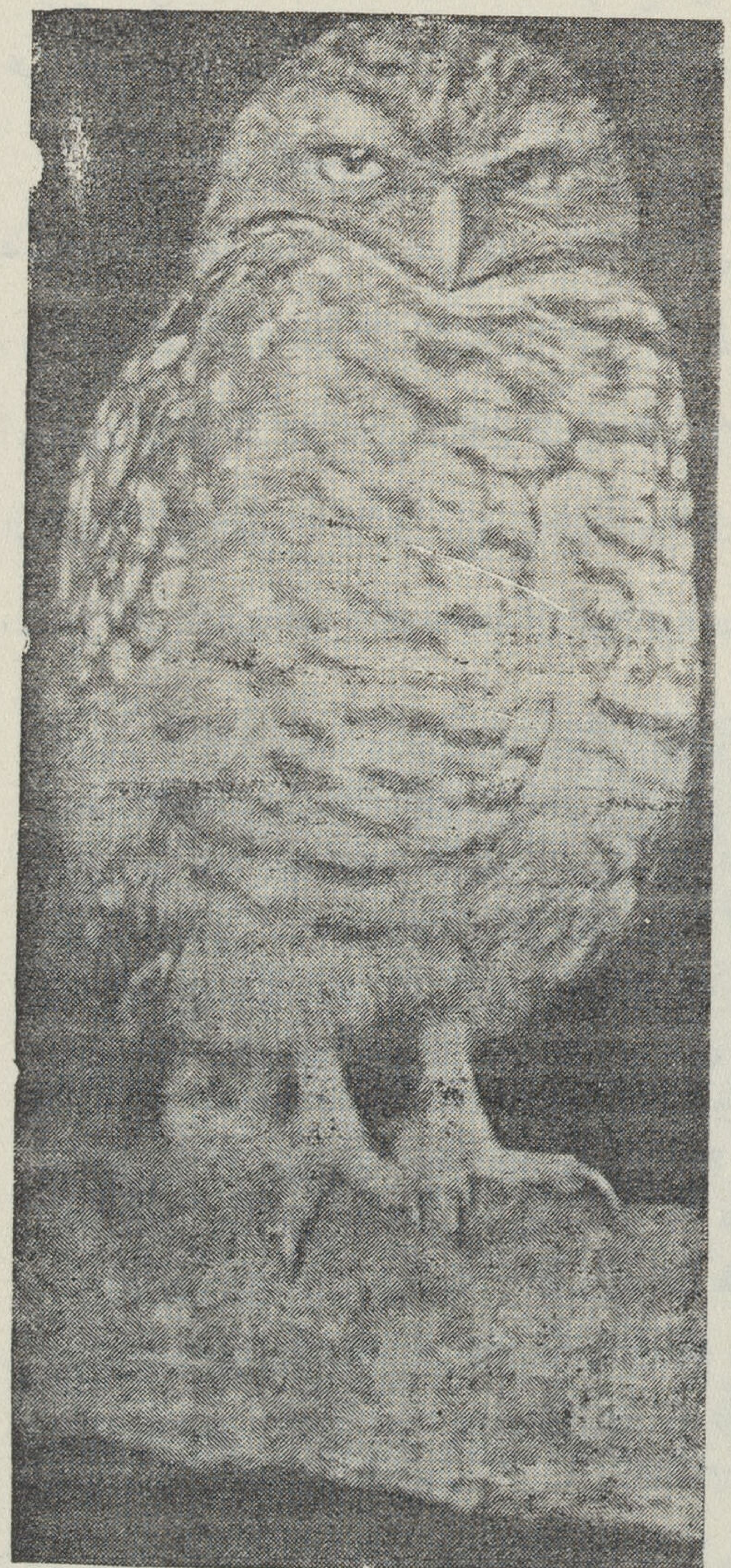

اى اقتراب المكان . فان اليوم يعيش فى الاماكن الخربة . ولما كان منظر الخراب كريها عند الانسان فان اليوم اصبح حيوانا مكروها مشئوما لهذه العلاقة بينه وبين الخربات التى يعيش فيها واصبح نعيب البومة نذيرا بالشر . ولكن اليوم برىء من هذه التهمة بل هو يعد من انفع الطيور للانسان . وهو انما يختار الخربات للسكنى لانه من طيور الليل التى تنام فى النهار وتستكن . فاذا اختار مكانا عامراً لم يستطع البقاء فيه فى النهار اذ ان سكانه من الادميين يسعون نهارهم وينشطون الى صيده . فهو ينأى عنهم الى خربة غير مأنوسه حتى يطمئن طول النهار . فاذا كان الليل خرج للصيد . وهنا تبدو لنا فائدته لأنه يقتات بالحشرات والطفليات التى تؤذى الانسان . وصحيح انه ياكل بعض العصافير ولكنه هنا مفيد ايضا لان هذه العصافير تقتات بالحبوب .

واذا سار الانسان بالليل فى شوارع القاهرة حيث الاشجار الكثيفة فانه من وقت لآخر يسمع زفيفا مفاجئا هو صوت العصافير التى تخرج بعشراتها او مئاتها فجأة من احدى الاشجار طائرة ناجية بنفسها من بومة صامتة قد حطت على الشجرة فى هدوء كأنها الخيال او الطيف اذ لا تكاد تسمع لجناحيها حفيفا ولو خفيفا . وكل مايجعلك تحس بوجودها انما هو العصفور المسكين الذى التقطته قبل ان يفتح عينيه ويدرى ماوقع به من مخالب ناشبة فى جسمه . فهو يصرخ صرخات متوالية سرعان ماتنقطع لان مخلبا قد وصل الى مقتل منه . وعندئذ تسمع صوت البومة وهو يعبر عن الفرح والانتصار

ولكن صيد العصافير هو اقل ماتفعل البوم . ومعظم ماتفترس هو الفئران والخنافس . ولذلك فانها تعد صديقة الفلاح اذ هى تقتل الفئران التى تستهلك مقدارا كبيرا من اقوات الفلاحين وزراعاتهم . ولهذا السبب يجب ان تحمى من عبثهم وصيدهم . فان . فكرة الشؤم مسيطرة على الفلاحين كما هى مسيطرة على سكان المدن وهم لا يطيعون سماع نعيب البومة . وسرعان مايعمدون الى قتلها اذا سمعوه . كما ان صبيان الفلاحين يقتلون صغارها . وتحسن الحكومة اذا هى اذاعت منشورا على العمد لحماية البوم بعد ان تبين فوائده لحماية الزارع من الحشرات والفئران

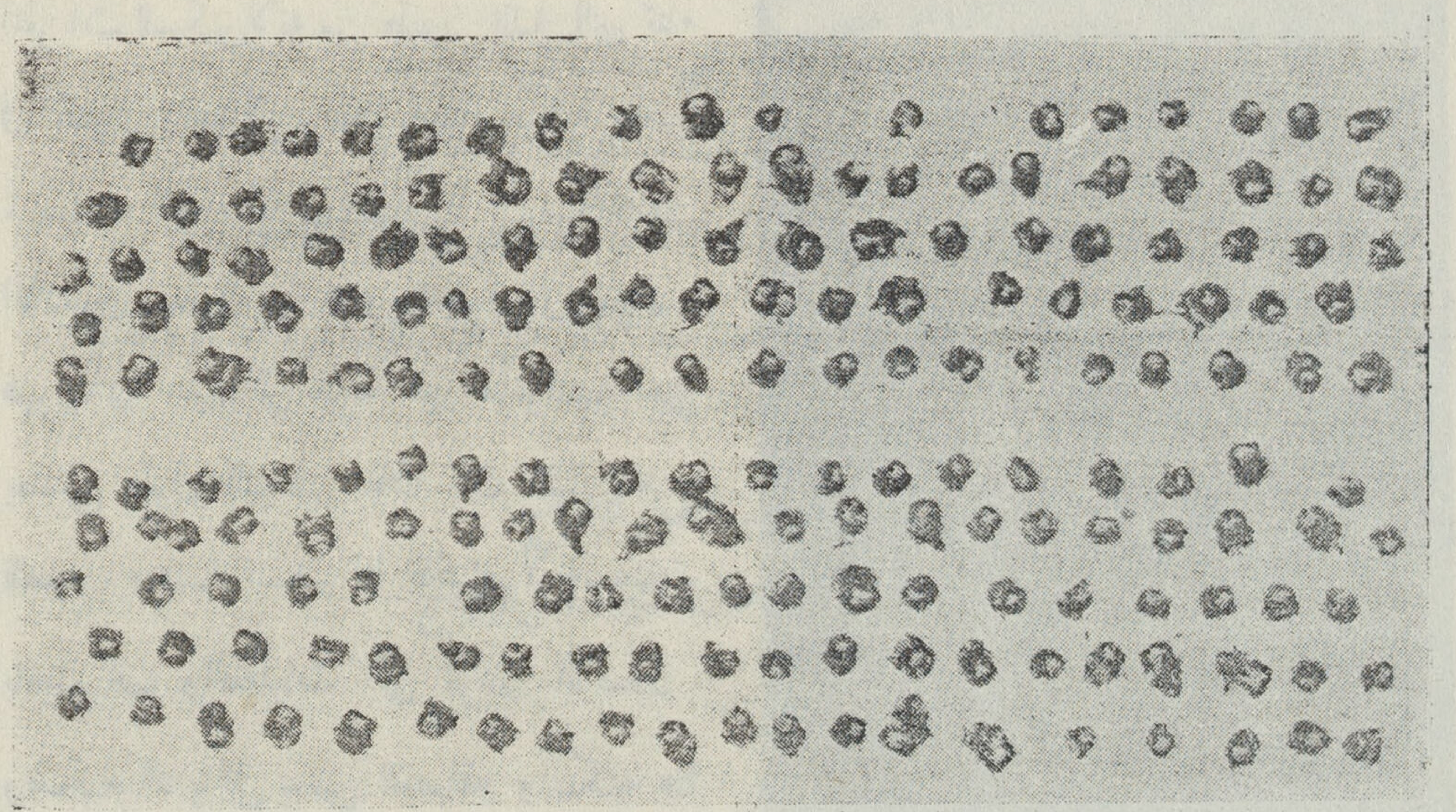

رؤوس الخنافس التى وجدت فى عش بومة فى انجلترا

كتب الشهر الجديدة

فرويد والتحليل النفسى

تأليف الاستاذ جورج عزيز صفحاته ٨٠ من القطع المتوسط طبع بالمطبعة الفخرية بالقاهرة

إن اختيار الاستاذ جورج عزيز لفرويد موضوعا لكتاب خاص يؤلفه بعد درس وتمحيص ليدل على اهتمام بالثقافة العصرية المؤسسة على نظريات العلم الحديث كما يدل على الرغبة فى توجيه قراء العربية الى الناحية الجدية التى تشغل اليوم أذهان كتاب الغرب . وفى الواقع لقد أصبح اختيار الكتاب للموضوعات التى يعالجونها دليلا على عقليتهم ومدى اخلاصهم لبلادهم واهتمامهم بمبادىء العصر الجديد الذى نعيش فيه. والحق إن لغتنا العربية تعد اليوم من أفقر لغات الارض فى المؤلفات العصرية التى تتمشى مع الحضارة الراهنة وفى مقدمتها المؤلفات التى تعالج علم النفس الحديث . . . هذا بينما يتداول أهل الغرب اليوم أكثر من عشرة مؤلفات هامة للعالم النفسانى سيجموند فرويد فتح بما جاء بها من نظريات جديدة أبوابا لعلم جديد يرمى الى البحث عن حقيقة الانسان وحقيقة النفس وحقيقة الوجود ويكشف فيها عن عجائب العقل الباطن مبرهنا على أنه مستودع الغرائز والذكريات والاحلام والجنس . ويصف فيها الصراع بين الشعور واللاشعور وبين القوى المختلفة فى اللاشعور من غرائز جنسية وغيرها جنسية ونوازع أهواء وماهى الا أن ذاعت آراء فرويد الجريئة . وغيرت مجرى علم النفس حتى تدارسها علماء النفس فى العالم وفى مقدمتهم ادلر وبودران ويونج وريفرز ومايرز ردريش وغيرهم ثم استقلوا عنه وذهب كل منهم مذهبا فرض فيه آراءه الخاصة هى فى مجموعها بدء عصر جديد تسبر فيه أغوار النفس البشرية التى ظلت وما برحت يكتنفها الغموض والاسرار . .

وهذا الكتاب الجديد الذى وضعه الاستاذ الاديب جورج عزيز ينبه القارىء لاسيما من لا يميل الى المطولات والدراسات المستفيضة الى دنيا جديدة ربما كانت مجهولة لديه وتريه أن دراسة العقل الباطن والظهور على مكنوناته تساعدنا على تعرف أسباب الامراض العصبية والنفسية وعلاجها وقد استطاع المؤلف أن يقسم كتابه بالرغم من صغر حجمه الى تسعة فصول هى : الاتجاهات الخلقية لاوربا – وفى بداية القرن الحالى – فرويد فى المرآة – عالم اللاشعور تفسير الاحلام – تأثير الاحلام على اليقظة – فى التحليل النفسى – الغريزة الجنسية – العالم الحاضر أمام الثورة النفسية .

ولا يسعنا أمام هذا العمل النافع الذى قدمه المؤلف الا أن نرجو أن يتبعه بدراسات أخرى عن ادلر وريفرز ويونج وغيرهم حتى يعين القارىء المصرى على تتبع تلك التيارات الفكرية الجبارة التى تظهر فى العالم الغربى وتغير مجرى علومه . ولا يسعنا الا شكره أولا وأخيرا على هذا الكتاب النفيس الذى قدمه اليوم الى قراء العربية .

نويه

المريد

قصة تأليف بول بورجيه وترجمة الاستاذ سليم سعدة
صفحاتها ٤٦٠ من القطع المتوسط — مطبعة مجلتى

يقدم الاستاذ الاديب سليم سعدة خدمات جليلة إلى الادب العربى الحديث بنقله إليه عددا من القصص الفرنسية المشهورة وقد سبق أن أتحف قراء العربية بترجمة قصص سميراميس ، والاستمتاع ، ونداء القلب ، كما ترجم للمسرح روايات شائقة . . وقصته اليوم المريد أو التلميذ هى آخر مجهوداته الادبية النافعة التى ينوى أن يتبعها بقصص أخرى من غرر الأدب الفرنسى . وتعتبر هذه القصة التى ظهرت بفرنسا عام ١٨٨٩ أقوى أعمال الكاتب الفرنسى الكبير بول بورجيه الذى اشتهر بتصويره الحياة الاجتماعيه فى عصره فى عدد من القصص تدور حول التحليل النفسانى العلمى وتشريح الميول وجزئيات العاطفة ورسم الأهواء أكثر مما تدور حول تصوير حركة الحياة ويستخلص المؤلف من تحاليله المسببة نظريات فلسفية عن النفس والاخلاق والطبيعة يرمى بها إلى الاصلاح والمبادىء الخلقية للتهذيب والارشاد . . وقد صور فى المريد معضلة اجتماعية ناتجة عن ذلك الاثر الذى تتركه تعاليم

فيلسوف لاديني فى عقل شاب تتلمذ له وتأثر بأفكاره فاندفع إلى جريمة يتحمل مسئوليتها وهو برئ منها . وقد نقل المترجم القصة فى صورة دقيقة كاملة مقيدا بأمانة التعريب فجاءت فى ثوب عربى رشيق يستحق من أجله الثناء .

«نون»

مصر والطرق الحديدية

تأليف الاستاذ محمد أمين حسونه صفحاته ٤١٤ من القطع المتوسط

هذا الكتاب ثمرة اخرى لجهود طبقة جديدة من كتابنا المثقفين بالثقافة العصرية الذين لا يقنعون باجترار الأدب العربى القديم وتقليده بل يبحثون وراء الجديد النافع الذى يسد فراغا فى مطبوعاتنا ويكمل نقصا فى معلوماتنا عن بلادنا . ويتناول هذا الكتاب تاريخ المواصلات المصرية لاسيما الطرق الحديدية وهو موضوع مفيد لم يسبق أن أفرد له كاتب مصرى مؤلفا خاصا يتوفر فيه على دراسته وبحثه واستقصاء عناصره من مختلف المصادر والوثائق والمراجع . وضم ماتبعثرهنا وهناك من الخطط والرسوم والفهارس . وقد ذكر المؤلف فى مقدمته عددا من المراجع التى يستعين بها من يود الاستزادة من هذا الموضوع الطريف . وقسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة كتب يبحث أولها فى تاريخ المواصلات المصرية وثانيها فى شركات السكك الحديدية وثالثها فى المواصلات بعد الحرب . فذكر فى الكتاب الاول المامة فى اختراع القاطرة وعن طرق المواصلات القديمة والطريق البرى الى الهند والتفكير فى انشاء خط حديدى فى عهد محمد على ثم بدء انشاء خط اسكندرية والقاهرة فى عهد عباس الأول . ثم ماتم فى عصر اسماعيل الخ . وجاء بالقسم الثانى من الكتاب حديثا طريفا عن الشركات التى تشتغلها الحكومة والخطوط السودانية المصرية . واما القسم الثالث فقد طرق موضوع المواصلات فى عصر فؤاد الاول ثم مؤتمر السكك الحديديه الذى عقد بالقاهرة . ثم عهد المواصلات المصرية منذ تقلد محمود شاكر باشا مصلحة السكك الحديديه ثم أفاض المؤلف فى مسأله المنافسة بين النقل المائى والسيارات والنقل الجوى وبين السكك الحديديه .. وهذا الكتاب يقرأ من أوله إلى آخره بلذة ويخرج منه القارىء وقد أفاد كثيرا من المعلومات والفوائد والاحصاءات والطرائف التاريخية يدور حول هذا الموضوع الحيوى القشيب . ولا يسعنا إلا الثناء على مؤلفه الأديب لهذه العلمية التى قدمها للقراء من مواطنه .

تصدع مذهب داروين

تأليف الدكتور حليم عطيه سوريال

صفحـــاته ١٩٨ من القطع المتوسط . طبع بالمطبعة الوطنية بأسيوط

قال مؤلف هذا الكتاب فى المقدمة « وهذه النظرية نظرية التطور لم تعدم كتابا فى بلادنا يدافعون عنها ويؤيدونها كحقيقة راسخة لاشك فيها . وبعض المتطرفين منهم ساروا فى طرف غلاة الملحدين الغربيين واساءوا استعمالها مقاومتهم الى الالحاد المطلق . كما أن الاشارة اليها فى كتب التاريخ الطبيعى التى تدرس فى مدارسنا الثانوية والعالية لابد أن تلفت أنظار الطلبة اليها وتحملهم على التفكير منها . لذلك رأيت لزاما على كتابة شيء منها »

فالمؤلف كما يتضح من هذه الكلمة يعتقدان نظرية التطور تدعو الى الالحاد . وهو قد الف هذا الكتاب لكى يثبت خطأها ويرد الملحدين الذين تأثروا بها الى الدين

واليك بعض فصول الكتاب . نظرية التحول . اثبات العلم الحديث لوجود الحالف . عبادة العلم . الجيولوجية والحلقة المعقودة . استبداد نظرية التحول . الخ

ونحن نحب آن يؤلف مثل هذا الكتاب حتى يجد المؤمنون بالتطور الاعتراض العلمى أو الشبيه بالعلمى لمذهبهم . ولكننا نلفت نظر المؤلف الى أشياء . منها ان الكنيسة البريطانية التى تؤمن على الاقل بالله قد اعتنقت نظرية التطور اعتناقا رسميا فى أحد مؤتمراتها . ومنها أن اخواننا المسلمين لايعترضون على هذه النظرية أقل اعتراض كما يبدو من كتابة فقهائهم . ومنها أن اعتماده على أن هذه النظرية تؤدى الى الالحاد بحادثة صغيرة خلاصتها أنه عندما فتش بيت أحد الملحدين وجد فيه كتاب أصل الانواع الذى ألفه داروين - هذا الاعتماد لاقيمة له لان هذا الشخص الذى أشار اليه وهو العالم الاستاذ الدكتور اسماعيل ادهم قد وجد أيضا فى بيت التوراة والانجيل والقرآن

في الطريق

تاليف الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى صفحاته ٤١٤ من القطع المتوسط . الناشر مكتبة النهضة المصرية

الادبية الاولى للأستاذ المازنى تدل على التكاف والرغبة فى محاكاة الاساليب العربيـة

نا

لاة

ب

هم

ذا .

دة

أو

من

مين

أن

فيه

اليه

رية

بيـة

Widener Library
3 2044 114 055 197

al-Majallah al-jadidah